ورقه ۲۸۰

کتاب شفا قاضی عیاض

۲۱
قسم عرب

ورقه ۲۸۰

قش

كتاب الشفا

بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم

تاليف الشيخ الفقيه القاضي الامام

الحافظ ابي الفضل عياض بن

موسى بن عياض اليحصبي

رضي الله عنه رواية

الشيخ ابي عبد الله

التميمي عنه رواية

الشيخ ابي

الحسين

محمد بن احمد بن جبير الكناني عنه اجازة رواية الشيخ ابي الحسن

علي بن العباس احمد بن علي القسنطيني عنه رضي الله عنهم اجمعين

ومن ترجمته رضي الله عنه انه كان بحر علم وقضبة

دين وحلم احكم بقراءة كتاب الله تعالى السبع

وبلغ من معرفته الطول والعرض

وبرز في علم الحديث وحمل رايه

الوري وراس في الاصول

وحفظ اسما الرجال

وتعب في علم النحو وتقيد

اللغة واشرف في

مذاهب الفقها والادبا وكان في نصف شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة وتوفي بمراكش سنة اربع واربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وبعلومه امين انه قريب مجيب

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال الشيخ الفقيه القاضي الامام الحافظ ابو الفضل عياض
ابن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه وارضاه. الحمد لله المنفرد
باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى
ولا وراه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما
وسع كل شي رحمة وعلما واسبغ على اوليايه نعما عما وبعث فيهم
رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم
عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم
رافة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما
وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فامن به وعزره ونصره
من جعل الله عز وجل له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف
عن اياته من كتب الله عليه الشقا حتما ومن كان في هذه اعمى فهو
في الاخرة اعمى صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى وعلى اله وسلم تسليما.

اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك
بما لطف به لاوليايه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم
من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته
واثار قدرته بما ملا قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا
همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله
يتنعمون وبين اثار قدرته وعجايب عظمته يترددون وبالانقطاع
اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله تعالى قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون فانك كررت على السوال في مجموع يتضمن التعريف

بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقير واكرام
وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه
الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا في ذلك من
مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني
من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما
كلفتني مرتقا صعبا ملا قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي
تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقايق من
علم الحقايق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او
يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة
وخصايص هذه الدرجة العلية وها هنا مهامه فيح تحار فيها
القطا ويقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد
بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق
من الله تعالى وتاييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السوال والجوا
من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان
خصايصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه
الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس
ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام ابن احمد الفقيه رحمه الله بقراتي
عليه قال حدثنا الحسين ابن محمد ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد
المومن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان ابن الاشعث ثنا موسى بن
اسماعيل ثنا حماد انا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام
من نار يوم القيامة فبادرت إلى نكت مسفرة عن وجه الغرض
مؤدياً من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده
من شغل البدن والبال بما طوقه الإنسان من مقاليد المحنة التي
ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم
إلى أسفل سفل ولو أراد الله عز وجل بالإنسان خيراً لجعل شغله
وهمه كله فيما يحمد غداً أو يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم أو عذاب
الجحيم ولكان عليه بخويصة نفسه واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده
وعلم نافع يفيده أو يستفيده جبر الله تعالى صدع قلوبنا وغفر عظيم
ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا
ويقربنا إليه تعالى زلفا ويحظينا منه ورحمته ولما نويت تقريبه
ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت
حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت
الكلام فيه في أربعة أقسام القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر
هذا النبي المصطفى قولاً وفعلاً وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب
الباب الأول في ثنائه عز وجل عليه وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة
فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقاً وخلقاً وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقاً وفيه سبعة وعشرون فصلاً الباب
الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلاً الباب الرابع
فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

وفيه ثلاثون فصلاً القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه
السلام ويترتب القول فيه في أربعة أبواب الباب الأول في فرض
الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب
الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث
في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع
في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من
الأمور البشرية أن يضاف إليه وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب
ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على
ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض
هذا التأليف وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي عن عهدته يشرق
صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ أنواره جوانح
صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب
الأول فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه
ستة عشر فصلاً الباب الثاني في أحواله الدنيوية وما يجوز
طروه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع
في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام وينقسم الكلام
فيه في بابين الباب الأول في بيان ما هو في حقه سب ونقص
من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم
شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه

المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله
وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام
فيه في خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم الأقسام والأبواب
ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة
تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا إله إلا هو
أستعين

القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى
قولا وفعلا قال القاضي الإمام أبو الفضل رضي الله عنه لا خفاء على من
مارس شيئا من العلم أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله قدر
نبينا عليه السلام وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا
تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام
فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه وأثنى
به عليه من أخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد
إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ثم طهر وزكى
ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله الفضل بدءا
وعودا والحمد أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه
على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق
الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات
الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها
من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى
علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنوار علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة
مني عليه ثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد
بن خيرون قالا أنا أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي ثنا محمد بن
أحمد بن محبوب ثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ ثنا إسحق بن منصور
ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه
وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب
عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله
منه قال فارفض عرقا

الباب الأول

في ثناء الله عز
وجل عليه وإظهاره عظيم قدره لديه اعلم أن في كتاب الله تعالى العزيز
آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم وعد محاسنه
وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه
وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء
المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم
الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور
بالضم قال القاضي الإمام أبو الفضل رحمه الله أعلم الله تعالى المؤمنين
أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه
بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه
ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه
منهم وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولادة أو قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى إلا المودة
في القربى وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه

لهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد
كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة
ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته
بمؤمنيهم ٥ قال بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف رحيم
ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم الآية وفي الآية الأخرى هو الذي بعث في
الأميين رسولا منهم الآية وقوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية
وانه أجلّ من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد
المحمودين وأحمد الحامدين وأكثرهم حمدا ومعه لواء الحمد في القيامة
ليتم له كمال الحمد ويقوم المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون
ويفتح عليه من المحامد فيه كما قال ما لم يعط غيره فحقيق أن يسمى محمدا
وأحمد وأن يكون أجلّ الحامدين وأفضل المحمودين ولما كان اسمه
بالغا في مدحه لم يحتج بعده لأكثر من ذكر الرسالة ٥ وروي عن
علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عنه عليه السلام في قوله تعالى من
أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح
كلنا نكاح ٥ قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة أم
فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن
ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي
إلى نبي حتى أخرجتك نبيا ٥ وقال جعفر ابن محمد الصادق
رضوان الله عليه علم الله عز وجل عجز خلقه عن طاعته فعرفهم
ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينهم وبينه

مخلوقا

مخلوقا من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه
إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته
فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال الله تعالى وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين ٥ قال أبو بكر ابن طاهر زيّن الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله
وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في
الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله
تعالى يقول وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته
رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال إذا
أراد الله تعالى رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفا وفرطا
٥ وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والإنس وقيل لجميع الخلق
للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر
بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين إذ
عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة ٥ وحكي أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء
قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وروي عن جعفر ابن
محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك إنما
وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى
الله نور السموات والأرض الآية ٥ قال كعب وابن جبير المراد بالنور
الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره أي نور محمد وقاله

سهل ابن عبد الله المعنى الله هادي أهل السموات والأرض ثم قال
مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها
كذا وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره أي كأنه كوكب دري
لما فيه من الإيمان والحكمة توقد من شجرة مباركة أي من نور
إبراهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله
يكاد زيتها يضيء أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس
قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله أعلم
وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا وقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا
منيرا ومن هذا قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة
شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه
بالإسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما
وقيل معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك
وزرك الذي أنقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل
النبوة وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية وقيل أراد ما أثقل ظهره من
الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى ابن آدم بالنبوة وقيل إذا ذكرت ذكرت
معي في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل في الأذان قال
القاضي أبو الفضل رحمه الله هذا تقرير من الله عز وجل لنبيه صلى الله

عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته
عليه بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل
الحكمة ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية وبغضه لسيرها وما كانت
عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة أعباء الرسالة
والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل
رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله
عز وجل ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب
صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله روى
أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال
إن ربي وربك يقرئك السلام ويقول تدري كيف رفعت ذكرك
قلت الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء
جعلت تمام الإيمان بذكري معك وقال أيضا جعلتك ذكرا من ذكري
فمن ذكرك ذكرني وقال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة إلا
ذكرني بالربوبية وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى
أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى وأطيعوا الله والرسول
وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام
في غير حقه عليه أفضل الصلاة والسلام حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد
الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال نا أبو عمر النمري
نا أبو محمد بن عبد المؤمن نا أبو بكر بن داسة نا أبو داود السجستاني نا أبو
الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن

ما شاء الله ثم شاء فلان. قال الخطابي أرشدهم صلى الله عليه وسلم
إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها
بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله الحديث الآخر أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو قال
اذهب قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية
لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف
على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث الصحيح
أنه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد
اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى إن الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا
فأجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة
وقدروا الآية إن الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر
رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك عند الله تعالى أن جعل طاعتك
طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال تعالى
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية. وروي أنه
لما نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فأنزل الله قل أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته
بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في أم
الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال أبو العا

العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه عنهما أبو الحسن
الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى أبو الليث السمر
مثله عن أبي العالية في قوله عز وجل صراط الذين أنعمت عليهم
قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح. وحكى الماوردي
ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد
وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الإسلام
وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآيتين
أكثر المفسرين على أن الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال
بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم
الذي صدق به المؤمنون وقيل أبو بكر وقيل علي وقيل غير هذا
من الأقوال. وعن مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن
القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه

الفصل الثاني

في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء
والكرامة قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا
من رتب الأثرة وجملة أوصاف من المدحة فجعله شاهدا

على أمته لتشهد بإبلاغهم الرسالة وهي من خصائصه صلى الله
عليه وسلم ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته
وداعيا إلى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به
للحق ثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله ثنا أبو القاسم حاتم بن
محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت
أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أجل والله
إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في
الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح
به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ٭ وذكر مثله عن عبد الله
ابن سلام وكعب الأحبار وفي بعض طرقه عن ابن إسحق ولا
صخب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده
لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر
شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد
الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به

بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة
وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء
متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت
للناس وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفته في التوراة عبدي أحمد المختار مولده بمكة ومهاجره
بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون لله على كل حال وقال
الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآيتين ٭
وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي
ذكرهم الله تعالى منته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا
لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله
لكن جعله الله تعالى سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك
وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال أبو الحسن القابسي
أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل أمته بهذه
الآية وفي قوله في الآية الأخرى وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف إذا
جئنا من كل أمة بشهيد الآية وقوله وسطا أي عدلا خيارا ومعنى
هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن
جعلناكم أمة خيارا عدولا لتشهدوا للأنبياء على أممهم ويشهد لكم
الرسول بالصدق ٭ قيل إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء
هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير

فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء وتزكيهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل معنى الآية أنكم حجة على كل من خالفكم
والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين
آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن
أسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن
الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعن أبي سعيد الخدري
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد
صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين
الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد في خطابه إياه مورد الملاطفة
والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال أبو محمد
مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله وقال
عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي
عن بعضهم أن معناه عافاك يا سليم القلب لم أذنت لهم قال
ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أنه
ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو
حتى سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق
في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على
ذي لب ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم

معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن
لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في
الإذن لهم قال القاضي رحمه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه
الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بأدب القرآن في
قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن
الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب
وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا
أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الأنبياء بعد الزلات وعاتب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بتثبيته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه
وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرا
ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك الآية
قال علي رضوان الله عليه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك
الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل
فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون أنك صادق
فأنزل الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى
له عليه السلام وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق

عندهم غير مكذب له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا
يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه
بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين
فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من
الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد
إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره من قبله ووعده بالنصر
بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية ه فمن قرأ لا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا ه وقال الفراء والكسائي
لا يقولون إنك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا
يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب وقيل
لا يعتقدون كذبك ه ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى
به أن الله عز وجل خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال يا آدم
يا نوح يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو
إلا يا أيها الرسول يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تبارك وتعالى بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل التفسير في هذا
أنه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله ضم العين
من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل
وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه
من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره ه
قال أبو الجوزاء ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف
المفسرون في معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكي أنه روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لي عند ربي عشرة أسماء ذكر أن
منها طه ويس اسمان له وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق أنه قال أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس يس يا إنسان أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم
وهو من أسماء الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل
وقيل يا إنسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم
أقسم الله تعالى به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد
إنك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين فإن قدر
أنه من أسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه أنه قسم كان فيه من التعظيم ما
تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان بمعنى النداء فقد
جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته أقسم تعالى باسمه
وكتابه إنه لمن المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم من إيمانه
أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق ه قال النقاش لم يقسم الله
تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال إنه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد
ولد آدم ولا فخر وقال الله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد قيل
لا أقسم به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة أي أقسم

به وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة ❁ وقال الواسطي أي نحلف لك بهذا
البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة
والأول أصح لأن السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وأنت حل
بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الأمين
قال أمنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها فإن كونه أمان حيث
كان ثم قال ووالد وما ولد من قال أراد آدم فهو عام ومن قال
هو إبراهيم وما ولد فهي إن شاء الله تعالى إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم
فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى الم
ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف أقسام أقسم الله
تعالى بها ❁ وعنه وعن غيره فيها غير ذلك ❁ وقال سهل بن عبد
الله التستري الألف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد
صلى الله عليه وسلم ❁ وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى
سهل وجعل معناه الله عز وجل أنزل جبريل على محمد عليه السلام
بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن هذا
الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه
نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد
أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب
والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن
وقيل هو اسم لله تعالى وقيل جبل محيط بالأرض وقيل غير هذا ❁
وقال جعفر ابن محمد الصادق رضي الله عنه في تفسير والنجم إذا هوى

بلغ على أصل المنقول منه سالمه

أنه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الأنوار
وقال انقطع عن غير الله تعالى ❁ وقال ابن عطاء في قوله تعالى
والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان

الفصل الخامس

في قسمه تبارك وتعالى له ليحقق مكانته عنده
عليه السلام قال الله تعالى والضحى والليل إذا سجى إلى آخر السورة
اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله
عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام
وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت هذه السورة
قال القاضي الإمام أبو الفضل رحمه الله تضمنت هذه السورة
من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه
الأول القسم له عما أخبره به من حاله بقوله سبحانه والضحى
والليل إذا سجى أي ورب الضحى وهذا من أعظم درجات المبرة ❁
الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك
وما قلى أي ما تركك وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد أن
اصطفاك الثالث قوله وللآخرة خير لك من الأولى قال
ابن إسحق أي ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك
من كرامة الدنيا وقال سهل أي ما ادخرت لك من الشفاعة
والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع
السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة قال ابن إسحق
يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة ❁ وقيل يعطيه

الحوض والشفاعة وروى عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار **الخامس** ما عدّه الله
تعالى عليه من نعمه وقرره من الآلاء قبله في بقية السورة من
هدايته إلى ما هداه له وهداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فأغناه بما آتاه الله أو بما جعله في قلبه من القناعة والغناء
ويتيما حدبت عليه عمه وآواه إليه وقيل آواه إلى الله وقيل
يتيما لا مثال لك فآواك إليه وقيل المعنى ألم يجدك فهدى
بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن
وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته
ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد
اختصاصه واصطفائه **السادس** أمره بإظهار نعمته
عليه وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله وأما
بنعمة ربك فحدث فإن من شكر النعمة الحديث بها وهذا
خاص له عام لأمته وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله لقد
رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم
بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر
بن محمد الصادق أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد
عليه السلام وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما
أدراك ما الطارق النجم الثاقب أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وتشريفه

العدّ ما يقف دونه العد وأقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه
عن الهوى وصدقه فيما تلا وأنه وحي يوحى أوصله إليه عن الله تعالى
جبريل وهو الشديد القوى ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء
وانتهائه إلى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وأنه رأى من
آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا سبحانه وتعالى في أول
سورة الإسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت
وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل
بحمل سماع أدناه العقول رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى وهذا
النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو
عندهم أبلغ أبواب الإيجاز وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى وتاهت الأحلام في تعيين
تلك الآيات الكبرى ه قال القاضي أبو الفضل رحمه الله واشتملت
هذه الآيات على إعلام الله تبارك وتعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم
وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه
وقلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما
ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى ه وقال
تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله وما هو بقول
شيطان رجيم لا أقسم أي أقسم أنه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله
ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من ربه عز
وجل رفيع المحل عنده مطاع ثم أي في السماء أمين على الوحي قال علي

بن عباس وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه ولقد
رآه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قيل ربه وقيل جبريل في
صورته وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم ومن قرأه بالضاد
فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه
لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم الآيات
أقسم تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله
عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط
أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية
المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما
له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن
به عليه فقال تعالى وإن لك لأجرا غير ممنون ثم أثنى عليه
بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي
التأكيد فقال سبحانه وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل
الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله تعالى
قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله
بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن
الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع إفضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون
الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه

وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة
خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير
الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة
بواره بقوله تعالى سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم
من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في
ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في
جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والإكرام قال الله تعالى
طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه السلام
وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل معناه يا إنسان وقيل
هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل
هو أمر من الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك
ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه
من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله
نقلت نا أبو ذر الحافظ نا أبو محمد الحموي نا إبراهيم بن خزيم الشاشي
نا عبد بن حميد نا هاشم ابن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع
الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا
عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن
المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه عليه السلام كما قيل أو جعلت

فسما الحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله
تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله
قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن
نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن
هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله
تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله
تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما
ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل
به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين
من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله تعالى بما أخبر
به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه
بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك
ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم
فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى
واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك
ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع

فيما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته
على الأنبياء عليهم السلام وحظوة رتبته قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن

القابسي

القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته
غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون أخذ
الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته وأخذ عليه
ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم
أن يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث
الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم
لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه
ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال
الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية
وقال إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله وكيلا روي عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله
أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم
بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء
في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل
نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه
وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق

إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات
محمدًا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم
وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة
أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن
فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة
في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي
في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد
صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه
ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه
السلام

الفصل الثامن

في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته
وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابًا أليمًا وقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية فلما
هاجر المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهذا من أبين ما
يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرءه به العذاب عن أهل مكة
بسبب كونه فيهم ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة
منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضًا تأويل آخر حدثنا

القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا أبو الفضل بن خيرون
وأبو الحسين الصيرفي قالا أنبا أبو يعلى ابن زوج الحرة ثنا أبو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا
ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف
عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت
تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين قال عليه السلام أنا أمان لأصحابي قيل من
البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه
وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق
فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال تعالى إن الله
وملائكته يصلون على النبي الآية أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله
عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة
والتسليم عليه وقد حكى أبو بكر ابن فورك أن بعض العلماء تأول قوله
عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله تعالى
علي وملائكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة والصلاة من الملائكة
ومنا له دعاء ومن الله عز وجل رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق
النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر
حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
أن الكاف من كاف أي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال

تعالى أليس الله بكاف عبده وإليها هدايته قال تعالى ويهديك صراطا
مستقيما وإليها تأييده قال تعالى أيدك بنصره وإليها عصمته قال
تعالى والله يعصمك من الناس وإليها صلاته عليه قال تعالى إن الله
وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله
هو مولاه الآية مولاه أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل
الملائكة وقيل أبو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم
تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله
ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه
بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو
كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون
قال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي أنك مغفور لك
وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا إله غيره منة
بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من
تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد
عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة
ونصره النصر العزيز ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي
جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر
لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته

لك

وتسوء

وتسوء منقلبهم ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية
فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة
لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل
بالمغفرة ومنذرا أعداءه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات
ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه أي
يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه
أي يعظمونه وقرأه بعضهم يعززوه بزايين من العز والأكثر
والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا
راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم
في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة
والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص
والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى
المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه
وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأسود
والأحمر وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد
ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد
ركني التوحيد ثم قال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون ببيعتهم إياك يد الله
فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل

لة

خ بعزروه

منه وقيل عقوة وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد
لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم وقد
يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا في باب
الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه
وقدرته عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية
حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة
لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي ومقابلة
اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم
بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن منفعة الرمي
كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم

الفصل العاشر

فيما أظهره تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما
خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه
تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله وإذ يمكر
بك الذين كفروا الآية وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله
به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في أمره
والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر
في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما
ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله

إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر
أعلمه الله تعالى بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة
وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل
النبوة وقيل المعرفة ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال
تعالى إن شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك والأبتر
الحقير الذليل أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه وقال
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثا
السور الطوال الأول والقرآن العظيم أم القرآن وقيل
السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع
المثاني ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل
وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت أم القرآن
مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله
عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء وسمى القرآن مثاني لأن
القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم الآية
وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل
يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية قال فهذه من
خصائصه وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق
كافة كما قال عليه السلام بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى

النبي

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم. قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده، وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس. وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده مكرمة له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة، وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف. وقال الله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية، قيل فضله العظيم بالنبوة، وقيل بما سبق له في الأزل، وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم.

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا، ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله تعالى زلفى. ثم هي على فنين أيضا: منها ما يتخلص لأحد الوصفين، ومنها ما يتمازج ويتداخل. فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه. وقد تلحق هذه الخصال الأخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة. وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها، وهي التي جماعها حسن الخلق. وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس، وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها، ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله. وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة، ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها.

فصل إذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة، وهو منذ عصور خوال رمم بوال، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعالي من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء

والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث
الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم
وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة
عند ذي العرش والطاعة ثمّ والامانة والهداية ورحمة
العالمين واعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول
واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع
الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد
بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم
وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين
الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه
واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع
الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على
الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصاء وابراء الآلام والعصمة
من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك
ومفضله به لا اله غيره الى ما اعدّ له في الدار الآخرة من منازل
الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة
التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم

عندها

فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله
عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا

وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى
ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم
نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك
انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي
جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها
دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد
جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث
علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة
ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل
والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم
من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل
اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه
واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر
واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين
والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف
انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد
ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا

بكأرني كالنور يخرج من ثناياه أحسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما
رأيت من ذي لمة في حلة حمرا أحسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك
يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان
وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل
الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد في بعض ما
وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب
ه وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة
البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله
ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم ه والأحاديث في بسط
صفته صلى الله عليه وسلم مشهورة كثيرة فلا نطول بسرد كلها
وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جا فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد إلى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك
تقف عليه هناك إن شا الله تعالى

فصل

وأما نظافة
جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد
فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره
ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين
على النظافة ه حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا أنا أحمد

بن عمر ثنا أبو العباس الرازي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا
ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان
عن ثابت عن أنس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا
ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ه
وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده
قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة
عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي
فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة
تجمع فيها عرقه فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت
نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه
وذكر إسحق ابن راهويه إن تلك كانت رائحته بلا
طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر أردفني
النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان
ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله
صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى
الله عليه وسلم ه وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي

خ على

العلم عليه ليست في الرواية

في هذا خبرا عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا
من الأذى فقال يا عائشة أوما علمت أن الأرض تبلع ما
يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء ⁂ وهذا الخبر وإن لم يكن
مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه
صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض أصحاب الشافعي حكاه الإمام
أبو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في
ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية
وشاهد هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء منه يكره ولا غير
طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه
وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت
حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ⁂ ومثله
قال أبو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه
صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب
عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد
روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها
لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا
نهاه عن عودة وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم

بلغ مقابلة على أصله حسب الطاقة

الدارقطني

الدارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح واسم
هذه المرأة بركة واختلف في نسبها وقيل هي أم أيمن
وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره
يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد
فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته
وأنا لا أعلم ⁂ روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه
وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي
عن أمه آمنة أنها قالت ولدته نظيفا ما به قذر ⁂ وعن
عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه أوصاني النبي صلى الله عليه
وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه
⁂ وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى
الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ
قال عكرمة لأنه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

فصل

وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه
واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل
الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق
وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب شمائله
وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون
تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في

رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا ما لا يحتاج
إلى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في
أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله
عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية أخرى
فوجدت في جميعها أن الله لم يعط جميع الناس من بدء
الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه
وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من
خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين وفي الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم إني لأراكم من
وراء ظهري ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن عائشة
رضي الله عنها مثله قالت زيادة زادها الله إياها في حجته
وفي بعض الروايات إني لأنظر من ورائي كما أنظر من بين
يدي وفي أخرى إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي
وحكى بقي بن مخلد عن عائشة قالت كان النبي صلى
الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والأخبار
كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين
ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه صلى الله عليه
وسلم أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وهذه كلها
محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره

وذهب

وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة
في ذلك وهي من خواص الأنبياء وخصالهم كما أخبرنا أبو محمد عبد الله
بن أحمد العدل من كتابه ثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا
أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها ثنا الشريف أبو الحسن علي بن
محمد الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن أحمد بن سليمان
ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة عن يحيى
بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا
بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات
ربه الكبرى وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل
وقته وكان دعاه إلى الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية
وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل يصرعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد
أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته أن ضحكه كان تبسما إذا التفت
التفت معا وإذا مشى مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب

فصل

وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة
طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة
معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة

ذلك صح
مشيه صح
وفصاحة خ

العرب يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير
موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره
علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل
الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة
النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث ابن قيس
ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفيهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب
والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم
فيها الصالغ والقارح ۞ وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك
له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة
كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني
نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكاة ولا
تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصلوات ۞ وكتب لهم في الوظيفة
الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم
تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة
ومن ابى فعليه الربوة ۞ ومن كتابه لوايل ابن حجر الى الاقيال

العباهلة

العباهلة والارواع المشابيب وفيها في التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس
ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن
زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر
يترفل على الاقيال ۞ اين هذا من كتابه لانس في الصدقة
المشهورة لما كان كلام هاولاء على هذا الحد وبلاغتهم هذا
النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين
للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله
في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد
السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغتنا ۞ وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي
لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة
وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين
وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله صلى الله عليه وسلم [المسلمون]
تتكافا دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من
سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب
ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس
معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار موتمن

وهو بالخيار ما لم يتكلم. ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت
فسلم. وقوله أسلم تسلم. وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين.
وإن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم
أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون. وقوله
لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه. وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيهاً. ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال
وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات.
وقوله اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن. وخير الأمور أوساطها. وقوله أحبب
حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما. وقوله
الظلم ظلمات يوم القيامة. وقوله في بعض دعائه اللهم إني
أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها
شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي
وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل
سوء. اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء
وعيش السعداء والنصر على الأعداء. إلى ما روته الكافة عن
الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها
غيره وحاز فيها سبقاً لا يقدر قدره. وقد جمعت من كلماته التي
لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله
حمي الوطيس. ومات حتف أنفه. ولا يلدغ المؤمن من جحر

مرتين. والسعيد من وعظ بغيره. في أخواتها مما يدرك
الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني حكمها
وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال
وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت في بني
سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية
وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد
الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري. وقالت
أم معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن
منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة
صلى الله عليه وسلم.

فصل

وأما شرف نسبه وكرم
بلده ومنشئه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان
مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش
وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه
ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله تعالى على الله وعلى عباده
حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله ثنا
القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف ثنا أبو ذر عبد بن أحمد ثنا
أبو محمد السرخسي وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن إسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من

القرن الذي كنت منه ٥ وعن العباس قال النبي صلى الله
عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير
قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير
البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا ٥ وعن واثلة بن الأسقع قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل واصطفى
من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ٥ قال
الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه
الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله اختار خلقه
فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم
العرب ثم اختار العرب فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم
فاختارني فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب
فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشا كانت نورا بين يدي
الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور
وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور
في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهبطني الله
إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب
إبراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة
والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح

قط

قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى
الله عليه وسلم المشهور **فصل** وأما ما تدعو ضرورة
الحياة إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل
في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه
فأما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا على كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم
بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص
والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب
لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل
على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء
الخاطر وحدة الذهن كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع
العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما
يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الأمم المتقدمة
والحكماء السالفين وأشعار العرب وأخبارها وصحيح الحديث وآثار
من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا
على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين
الفنين بالأقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي أمر به وحض
عليه لا سيما بارتباط أحدهما بالآخر ٥ حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه ثنا أبو الفضل الأصبهاني ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان
بن أحمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية

خثرت نفسه بالفتح اختلطت ه

الفسل من الرجال الرذل وقد فسل بالضم فسالة وفسولة لم

هام

ابن صالح أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معديكرب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء
شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولأن
كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب قال سفيان الثوري
بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أي كثرة الأيدي
وعن عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه إن أطعموه
أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا
بحديث بريرة وقوله ألم أر البرمة فيها لحم إذ لعل سبب
سؤاله صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له فأراد
بيان سنته إذ رآهم لم يقدموه إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله
هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني إذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء
عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا
والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته

والجالس

والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي
صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس
العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين
وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك
الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال إن عيني تنامان ولا ينام
قلبي وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه
على الجانب الأيسر أهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الأعضاء
الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال
فيه والطول وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع
الإفاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل

والضرب الثاني
ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه أما النكا
ح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية
ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية
وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس أفضل هذه الأمة
أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه
وسلم تناكحوا فإني مباه بكم الأمم ونهى عن التبتل مع ما فيه من
قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله
من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج
حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد
حببن إلى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة

وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري
النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم
غير شيء وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزبا فإن قلت كيف
يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد
أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما
نعلمه فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان
كما قررته لنكح فاعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حصور
ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبا أو لا ذكر له بل قد أنكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب
ولا يليق بالأنبياء وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها
كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة
على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله تعالى كيحيى
عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الأوقات
حاطة إلى الدنيا ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب
فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه
وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة
لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن
بل صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ
دنيا غيره فقال حبب إلي من دنياكم فذلك أن حبه لما ذكر

من النساء والطيب اللذين من أمور دنيا غيره واستعماله لذلك
ليس لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء
الملائكة في الطيب ولأنه أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه
ويحرك أسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالتين فقال وجعلت قرة عيني
في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة
بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأ
الكثير منه ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا
عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال أنس وكنا نتحدث
أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع
وعن طاوس أعطي عليه السلام قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن
صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى
وقال هذا أطهر وأطيب وقد قال سليمان عليه السلام لأطوفن
الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وأنه فعل ذلك وقال ابن
عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له
ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش سبعمائة
امرأة وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على
زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوجة أوريا

مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله إن هذا أخي له تسع
وتسعون نعجة ۞ وفي حديث أنس عنه صلى الله عليه وسلم فضلت على
الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش ۞ وأما
الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمته في القلوب ۞
وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا
والآخرة ۞ لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدحه من مدحه ۞ وورد في الشرع مدح
الخمول وذم العلو في الأرض ۞ وكان صلى الله عليه وسلم قد
رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند
الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون
أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته
وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت
ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته
أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة ۞ وفي حديث
ابن مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال هون عليك فإني
لست بملك الحديث ۞ فأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته
بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ
النهايات ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا
هذا القسم بأسره

فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة
المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى

حاجاته وتمكن من أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان
المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من
اعتراه وأمله ونصرفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء
الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل
الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى
كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثرة كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة
بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح
بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وإنما هو للتوصل
به إلى غيره وتصرفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه مواضعه
ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا
ممتدح عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى
غرض من أغراضه إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه
فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء
والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من
المال شيء ۞ فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال
تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله ۞ وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من
الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها

۞ لذلك [illegible] منتفعه
لأنه [illegible] والكثرة [illegible]
والقصد [illegible] والله أعلم

مما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادنه جماعة من ملوك الأقاليم
فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى
به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا
يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لديني وأتته دنانير
مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم
حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في
الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة في
الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات
النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين وقد
ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعود
إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن
وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض
وجبي إليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية
ومالك للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق
في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها **فصل**
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق
الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها

وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على
جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها
بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال
في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف
أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في
كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله عز وجل عليه بذلك
فقال وإنك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه وسلم بعثت
لأتمم مكارم الأخلاق وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أحسن الناس خلقا وعن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه
مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا
لسائر الأنبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك
كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم
السلام بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة في
الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون أعطي يحيى
العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين أو ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت وقيل في قوله
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد
له أنه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى
تقول لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله

الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها ألا تحزني
على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال أن المنادي عيسى
ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبياً ه وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ه و
ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه ه وحكى الطبري
أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاماً وكذلك
قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل وقال
المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل
أي هديناه صغيراً قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه
قبل ابتداء خلقه ه وقال بعضهم لما ولد إبراهيم عليه السلام
بعث الله تعالى عز وجل إليه ملكاً يأمره عن الله عز وجل أن
يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل
فذلك رشده وقيل أن إلقاء إبراهيم في النار ومحنته كان
وهو ابن ست عشرة سنة وأن ابتلاء إسحق بالذبح وهو ابن
سبع سنين وأن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس
كان وهو ابن خمسة عشر شهراً وقيل أوحي إلى يوسف
عليه السلام وهو صبي عند ما هم إخوته بإلقائه في الجب
بقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا
يشعرون إلى غير ذلك من أخبارهم وقد حكى أهل السير أن
آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ولدته

ولد باسطاً يديه إلى الأرض رافعاً رأسه إلى السماء وقال
في صفته صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت إلي الأوثان
وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله
إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ه ثم يتكامل الأمر لهم
وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق أنوار المعارف في
قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة
في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً ه وقد
نجد غيرهم مطبوعاً على بعض هذه الأخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد
من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق
اللسان أو السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها
وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا
ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة فحكى
الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد
وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب
ما أصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال
يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في حديثه والجراءة والجبن غرائز يضعها الله عز وجل حيث يشاء وهذه
الأخلاق المحمودة والخصال المجبولة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير

الى جميعها وتحقق وصفه بها صلى الله عليه وسلم ان شا الله تعالى

فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دايرتها
فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب
الراي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب
ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتنا
الفضايل وتجنب الرذايل ۞ وقد اشرنا الى مكانه منه صلى
الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر
سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من
تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن
شمايله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل
والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها
وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتاصيل
الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ
اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة
والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك مما سنبينه
في معجزاته ان شا الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة
كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم بل نبي امي لم يعرف
بشي من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم
ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته
نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه
حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه

بلغ مقابلة على اصل المنقول منه حسب الطاقة

وسلم الى ساير ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون
وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته ۞ قال سبحانه وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول
في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك
او ينتهي اليه **فصل** واما الحلم والاحتمال والعفو مع
القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان
الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال
حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها
متقاربة واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب
الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ۞ روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عليه السلام
عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال
يا محمد ان الله تبارك وتعالى يامرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك
الاية وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال
وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور ۞ ولا خفا بما يوثر من حلمه واحتماله صلى الله عليه
وسلم وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة
وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا
وعلى اسراف الجاهل الا حلما ۞ حدثنا القاضي ابو عبد الله

محمد بن علي التغلبي وغيره قال الواحد ثنا محمد بن عتاب حدثنا
ابو بكر بن وافد القاضي وغيره قال الواحد ثنا ابو عيسى قال
حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة
الله تعالى فينتقم لله عز وجل بها وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد
شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال
اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد
قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه
قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد
وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت
ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ۝
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع
الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية
الصبر والحلم اذ لم يقتصر عليه السلام على السكوت عنهم حتى
عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر او اهد

ثم اظهر

ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر
عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ۝ ولما قال له الرجل
اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه
ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له
فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم
اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ۝ ولما تصدى له
غورث بن الحرث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم
منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم
ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف
صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف
من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك
مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه
عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من
الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم
به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته ۝ وكذ
لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل
عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث
ان محمدا يقتل اصحابه ۝ وعن انس قال كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه
جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم

صلى الله عليه وسلم

قال يا محمد احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى
الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال
ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك
لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان
يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر ٥ قالت عايشة رضي
الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة
ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا
قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة
وجي اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي
وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا فجبذ ثوبه
عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد
المطلب مطل فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشدد له
في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن
القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث
وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان
سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة
شي الا وقد عرفتها في محمد الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله
ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف

والحديث

والحديث عن حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند
المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في
الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين
من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرة
الشدايد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه
فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرايهم
فما زاد ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا
خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا
فانتم الطلقاء ٥ وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة
الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم
عنكم الاية ٥ وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب
اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه
في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال
بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله
عليه وسلم **فصل** واما الجود والكرم والسخاء والسماحة
ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم
الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية
وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب

نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان
صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه ٥ حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي أبو الوليد الباجي
قال حدثنا أبو ذر الهروي قال حدثنا أبو الهيثم الكشميهني
وأبو محمد السرخسي وأبو إسحاق البلخي قالوا حدثنا أبو عبد
الله الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا محمد بن كثير قال
أنا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول
ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن
أنس وسهل بن سعد مثله ٥ وقال ابن عباس كان النبي صلى
الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر
رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح
المرسلة ٥ وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين
فرجع إلى بلده وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة
وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة
ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث
وقد قال له ورقة إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد
على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف ٥ وأعطى العباس بن
عبد المطلب من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه تسعون ألف
درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ

منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا
جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا
رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم
صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت
ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد
قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا ٥ قال أنس كان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله
عليه وسلم كثير ٥ وعن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف
وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه
نائل والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير ٥ وقد قال أبو
علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير
وتكلم في الفتوة وهو غاية الكرم والإيثار على رأيهم واصطلاح
ألفاظهم إن هذا الخلق لا يكون بكماله إلا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فإن كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي وهو يقول
أمتي أمتي

فصل

وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة
قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم
منهما بالمكان الذي لا يجهل ٥ قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة

والانطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه ۞ حدثنا أبو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي
سراج قال حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد الفقيه قال
حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا
ابن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن أبي إسحق
سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر
ثم قال رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره
أنا ابن عبد المطلب ۞ قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه ۞
وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته
وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون
مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو
الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ
بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء ۞ وقال ابن عمر
ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إنا كنا إذا حمي
البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله

عليه

البأس الحرب كذا ذكره المصنف في المشارق

عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو منه وكان من أشد الناس
يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله
عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه وعن أنس كان النبي
صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأحسن الناس وأشجع
الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى
الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف
في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن الحصين ما لقي
صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب ولما رآه
أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا
وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم
بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله تعالى
فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة
فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير
إذا انتفض ثم استقبله النبي عليه السلام فطعنه في عنقه طعنة
تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه
فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال
لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق

على تشليني فمات بسرف في قفولهم الى مكة. **فصل** وأما
الحياء والإغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند
فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضاء
التغافل عما يكرهه الإنسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه
وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال
الله تعالى إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية
۝ وحدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا
أبو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا أبو الحسن القابسي قال حدثنا
أبو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن
إسمعيل قال حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا
شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى أنس عن أبي
سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء
من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه
وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه
أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل
ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون
أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله ۝ وروى أنس أنه
دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه
أحدا بما يكرهه فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى
ينزعها ۝ قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم

فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالأسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن
التوراة من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو
بن العاصي ۝ وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان
من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما
اضطره الكلام إليه مما يكرهه وعن عائشة رضي الله عنها
قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط
فصل وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى
الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار
الصحيحة قال علي رضوان الله عليه في وصفه عليه السلام
كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم
عريكة وأكرمهم عشرة ۝ حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف
الأنماطي فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال أنبا أبو إسحق
الحبال قال حدثنا أبو محمد بن النحاس قال حدثنا ابن الأعرا
قال حدثنا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا
الوليد بن مسلم قال حدثنا الأوزاعي قال سمعت يحيى بن
أبي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة
عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا
وطاء عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

فيمشي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت
فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت ٭ وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم
كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن
يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي
كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه
منه ٭ من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو
المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا
عنده في الحق سواء ٭ بهذا وصفه ابن أبي هالة قال وكان
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه ٭ قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ٭ وقال تعالى ادفع
بالتي هي أحسن الآية ٭ وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو
كانت كراعا ويكافئ عليها ٭ قال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته
لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته ٭ وعن عائشة رضي الله عنها
أنها قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال جرير
بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت

ولا رآني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد
والحر والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر ٭ قال أنس ما التقم أحد أذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي
ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر
ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه
بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه
بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من دخل عليه وربما
بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة
لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام
ويروى بانتهاء أو قيام ٭ وروي أنه كان لا يجلس إليه أحد
وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد
إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل
عليه قرآن أو يعظ أو يخطب ٭ قال عبد الله بن الحارث ما رأيت
أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
أنس قال كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية
إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون
به التبرك

فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة

لجميع الخلق فعند قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ه وقال تعالى وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه صلى الله عليه وسلم
أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف
رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك ه حدثنا الفقيه
أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه قال حدثنا إمام الحرمين
أبو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا أبو
أحمد الجلودي قال حدثنا إبراهيم بن سفيان قال حدثنا مسلم بن الحجاج
قال حدثنا أبو الطاهر قال نا ابن وهب قال أنا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال
فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من
النعم ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان
قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي
فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا
جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي
لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا
ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه صلى الله عليه وسلم وزاده شيئا
ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة
خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي
أنفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت
بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما

كان الغد أو العشي جاء فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي
أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى
الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها
خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها
بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت و
واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ه وروي
عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد
من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر
ومن شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم
وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة
الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت
أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه
كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ه ومن شفقته صلى
الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته
أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة
تقربه بها إليك يوم القيامة ه ولما كذبه قومه أتاه جبريل
عليه السلام فقال له إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك

جاءه

وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ۞ وروى محمد ابن المنكدر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم ۞ وقالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر محمد ابن محمد قال حدثنا أبو إسحق الحبال قال حدثنا أبو محمد بن النحاس قال حدثنا ابن الأعرابي قال ثنا محمد بن يحيى قال ثنا محمد بن سنان قال ثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه

ثنا أبو داود ثنا

فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة ۞ وعن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه صلى الله عليه وسلم يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ۞ ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها ۞ وعن أبي قتادة قال وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافيهم ۞ ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها ۞ وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من

دنت

أبي

هذه قالت أمه التي أرضعته ۝ وعن عمرو بن السائب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من
الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل
أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه
بين يديه ۝ وكان يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة
وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد ۝
وفي حديث خديجة أنها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فو
الله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

فصل

وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا وحسبك أنه خير بين
أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال
له إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له إنك سيد
ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق الأرض عنه وأول شافع
۝ حدثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه بقراءتي عليه في منزله
بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال حدثنا أبو علي الحافظ قال نا
أبو عمر قال حدثنا ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابن داسة قال
حدثنا أبو داود قال نا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عبد الله
بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي
مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة قال خرج علينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما
تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا وقال إنما أنا عبد آكل كما
يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه
وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم
حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني
كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
۝ وعن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت إن لي
إليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة
شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلست فجلس
النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها قال
أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة
العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه
إكاف ۝ قال وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة
فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة
ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه
ولا سمعة ۝ هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى في حجه ذلك
مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ
على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ۝ ومن
تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى
ولا تفضلوا بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك

من إبراهيم. ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي
وقال للذي قال له يا خير البرية قال ذاك إبراهيم عليه السلام
وسنأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى. وعن
عائشة رضي الله عنها والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم
يزيد على بعض كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير
ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من
السوق. وعن أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة
لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت
حتى يقضي حاجتها. ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته
رعدة فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة
من قريش تأكل القديد. وعن أبي هريرة دخلت السوق
مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان
زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه
وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها
ولست بملك إنما أنا رجل منكم. ثم أخذ السراويل فذهبت
لأحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

فصل

وأما عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه
وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم
لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه. وكان يسمى قبل نبوته
الأمين. قال ابن إسحق كان يسمى الأمين بما جمع الله تعالى فيه

بلغ مقابلة على أصل بحسب الطاقة

من الأخلاق

من الأخلاق الصالحة. وقال الله تعالى مطاع ثم أمين أكثر
المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم. ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل
عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته
فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به. وعن الربيع بن خثيم
قال كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
قبل الإسلام. وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء
أمين في الأرض. حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال
حدثنا أبو الفضل بن خيرون قال ثنا أبو يعلى ابن زوج الحرة
قال ثنا أبو علي السنجي قال ثنا محمد بن محبوب المروزي قال
ثنا أبو عيسى الحافظ قال ثنا أبو كريب قال ثنا معوية بن هشام
عن سفيان عن أبي إسحق عن ناجية بن كعب عن علي ابن أبي
طالب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك
الآية. وروى غيره لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب. وقيل
إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا
أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق
أم كاذب فقال أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط.
وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل أن يقول ما قال قال لا. وقال النضر بن الحرث لقريش قد
كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة

حتى إذا أنتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر ۝ وفي الحديث عنه ما مست يده يد امرأة
قط لا يملك رقها وفي حديث علي رضوان الله عليه في وصفه
صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك
فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين
إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس
منه قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم
الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم
الشمس للحوائج ۝ قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء
جزءا لله تعالى وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه
وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول أبلغوا
حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع آمنه الله
يوم الفزع الأكبر ۝ وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر
أبو جعفر الطبري عن علي رضوان الله عليه عنه صلى الله عليه وسلم ما
هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني
الله عز وجل برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى

أدخل

أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت
أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم
فجلست أنظر فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت
ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهمم بعد
ذلك بسوء

فصل

وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته
وتؤدته ومروءته وحسن هديه ۝ فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ
إجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا أبو العباس الدلائي قال
ثنا أبو ذر الهروي أنبا أبو عبد الله الوراق قال ثنا اللؤلؤي
قال ثنا أبو داود قال حدثنا عبد الرحمن بن سلام قال ثنا
حجاج بن محمد عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن عمر بن عبد
العزيز بن وهب قال سمعت خارجة ابن زيد يقول كان
النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد
يخرج شيئا من أطرافه وروى أبو سعيد الخدري كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا ۝ وعن
جابر بن سمرة أنه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث
قيلة ۝ وكان صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا
لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا
له واقتداء به ۝ مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا
ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق

الحبوة ضم الساق إلى البطن بثوب

أي لا تذكر بسوء

جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفيا ويمشي
هونا كأنما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى
مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل أي غير ضجر
ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود إن أحسن الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان
في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل وقال
ابن أبي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر وقالت عايشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه
وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة
ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروته
صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والأمر بالأكل مما يليك والأمر بالسواك وإنقاء البراجم
والرواجب واستعمال خصال الفطرة **فصل** وأما
زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت
إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفي صلى الله عليه
وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو
ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن
العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا

حدثنا

حدثنا أحمد بن عمر قال ثنا أبو العباس الرازي قال حدثنا أبو
أحمد الجلودي قال ثنا ابن سفيان قال حدثنا أبو الحسين بن
الحجاج قال ثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال ثنا أبو معوية عن الأعمش
عن إبراهيم عن الأسود عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى
مضى لسبيله وفي رواية أخرى من خبز شعير يومين
متوالين ولو شاء لأعطاه الله عز وجل ما لا يخطر ببال
وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله عز وجل وقالت عايشة ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث
عمرو بن الحرث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة
وقالت عايشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله
ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال لي إني عرض علي أن
تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع
يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما
اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وفي حديث آخر أن
جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له إن الله تعالى يقرئك السلام
ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث
ما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك
الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة رضي الله عنها قالت إن

كنا آل محمد لنمكث شهرًا ما نستوقد نارًا إن هو إلا التمر والماء. وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير. وعن عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه. قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويًا لا يجدون عشاء. وعن أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطًا قط. وعن عائشة إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف. وعن حفصة قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحًا نثنيه ثنتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي. وكان ينام أحيانًا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعًا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعًا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه عز وجل جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا

فمضوا

فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدًا دونهم وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي. قالت فما أقام بعد إلا أشهرًا حتى توفي صلى الله عليه وسلم.

فصل وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه ثنا أبو القاسم الطرابلسي ثنا الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا أبو عبد الله الفربري ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا. زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجرون إلى الله تعالى لوددت أني شجرة تعضد. روي هذا الكلام وددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح. وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه. وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدًا شكورًا. ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة. وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل

الصعدات الطرق وتجأرون ترفعون أصواتكم بالدعاء والصعدات جمع صعد والصعد جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات وقيل جمع صعدة كظلمة وهي فناء باب الدار وممر الناس

كذا في الأصل وصوابه عن أبي سلمة عن أبي هريرة كذا أخرجه الترمذي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم ٥ ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة
وأنس وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته
مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام
يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف
فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث
بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة
يفعل مثل ذلك ٥ وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من
قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل
عمران والنساء والمائدة ٥ وعن عائشة قالت قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة ٥ وعن عبد الله بن
الشخير قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
أزيز كأزيز المرجل ٥ قال ابن أبي هالة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة
وقال عليه السلام إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة وعن علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي

وذكر الله

وذكر الله عز وجل أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد
حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد
خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في
ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي عز وجل

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام
من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع
المحاسن هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشر
والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم
أرفع الدرجات ولكن فضل الله تعالى بعضهم على بعض ٥ قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ٥ وقال تعالى ولقد اخترناهم
على علم على العالمين ٥ وقد قال صلى الله عليه وسلم إن أول
زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال في آخر
الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام
طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث أبي هريرة رأيت موسى
فإذا رجل ضرب رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت
عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج
من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وأنا
أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى
كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا

والفقر

المبطن الضامر البطن والمبطان الذي يستلي ... ضده والمبطون ... كبطنه

إلا في ذروة قومه ويروى ثروة أي كثرة ومنعة
وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث
قتادة عن أنس ما بعث الله عز وجل نبيا إلا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها
وأحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه
فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب
قومها وقال الله تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا نعم
العبد إنه أواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى
قوله ويوم يبعث حيا وقال تعالى إن الله يبشرك بيحيى
إلى قوله الصالحين وقال تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا
وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في نوح
إنه كان عبدا شكورا وقال تعالى إن الله يبشرك بكلمة
منه اسمه المسيح إلى قوله الصالحين وقال إني عبد الله
آتاني الكتاب وجعلني نبيا إلى قوله ما دمت حيا وقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وقال
النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى عليه السلام رجلا حييا
ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث وقال الله
تعالى عنه فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وقال
تعالى في وصف جماعة منهم إني لكم رسول أمين وقال إن
خير من استأجرت القوي الأمين وقال تعالى فاصبر كما
صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى ووهبنا له إسحق

ويعقوب

ويعقوب كلا هدينا إلى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف
جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال
تعالى فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال تعالى ولقد فتنا قبلهم
قوم فرعون وجاءهم رسول كريم إلى أمين وقال ستجدني
إن شاء الله من الصابرين وقال في إسمعيل إنه كان صادق
الوعد الآيتين وفي موسى إنه كان مخلصا وفي سليمن
نعم العبد إنه أواب وقال تعالى واذكر عبادنا إبراهيم
وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إلى الأخيار وفي
داود إنه أواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ
عليم وفي موسى ستجدني إن شاء الله صابرا وقال عن شعيب
ستجدني إن شاء الله من الصالحين وقال وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وقال تعالى
ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال إنهم كانوا يسارعون في
الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين قال سفين
هو الحزن الدائم في أي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن
أخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الأحاديث كثير
كقوله صلى الله عليه وسلم إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبرهيم عليهم السلام نبي
ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث أنس وكذلك الأنبياء تنام
أعينهم ولا تنام قلوبهم وروي أن سليمن عليه السلام كان

مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا
لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز
الشعير وأوحي إليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين
وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر
الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي. وقيل ليوسف عليه السلام
ما لك تجوع وأنت على خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى
الجائع. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ
القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده قال الله تعالى
وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل
ربه أن يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود
وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف
ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج
شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا
ببصره إلى السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته
كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده أخدودا. وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته
فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا. وقيل لعيسى عليه السلام لو
اتخذت حمارا قال أنا أكرم على الله تعالى من أن يشغلني بحمار وكان

٤٧

يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أين ما أدركه
النوم نام وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له مسكين
وقيل إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى (رسول الله)
خضرة البقل في بطنه من الهزال. وقال صلى الله عليه
وسلم لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إلينا. وقال عيسى
عليه السلام للخنزير اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال
أكره أن أعود لساني المنطق بالسوء. وقال مجاهد كان
طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله تعالى حتى اتخذ
الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام كان يستظل
بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب
كما تكرع الدابة تواضعا لله عز وجل بما أكرمه به من كلامه
وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل
الأخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول
بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين
والمفسرين مما يخالف هذا. **فصل** قد أتيناك أكرمك الله
تعالى من ذكر الأخلاق الحميدة وخصال الكمال العديدة وأريناك
صحتها له عليه السلام وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر
واسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد
تنقطع دون نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره

الدلائل ولكنا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقليل من كثير وغيض من فيض ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة الجامع من شمايله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره وفضايله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمس مائة قال ثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبرنا الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله ابن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا ثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قالوا أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله قال سألت خالي هند بن أبي هالة ح قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني ح قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن

خيرون قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن ابن جعفر ابن عبيد الله ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي قال ثنا إسمعيل بن محمد بن إسحق بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند ابن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر

مشبح الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد،
موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين
ما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر، طويل
الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سايل
الأطراف، أو قال سائن الأطراف، سبط العصب، خمصان الأخمصين
مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعا، ويخطو
تكفوا، ويمشي هونا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من
صبب، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى
الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة،
يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام. قلت صف لي
منطقه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان،
دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل
السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم
فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا ليس بالجافي ولا
المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه، ولا تقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر
له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها
وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى
راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض
طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن
فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني

إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه
ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت أبي عليه
السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان
دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله
جزأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزأ لله تعالى، وجزأ لأهله، وجزأ
لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل
الفضل بإذنه، وقسمته على قدر فضلهم في الدين، منهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم
فيما أصلحهم، والأمة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي
لهم، ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا
يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا
يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده
إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره. قال في حديث سفيان
بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون إلا عن ذواق
ويخرجون أدلة يعني فقهاء. قلت فأخبرني عن مخرجه كيف
كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه
إلا مما يعنيهم، ويؤلفهم، ولا ينفرهم، يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد
بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن
الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف،

لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد،
لا يقصر عن الحق، ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه
من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم
عنده منزلة أحسنهم مواساة، وموازرة. قال فسألته عن
مجلسه عما كان يصنع فيه صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا
يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى القوم
جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه
نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه. من
جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه،
من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد
وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق
متقاربين، متفاضلين فيه بالتقوى، وفي الرواية الأخرى صاروا
عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم، وحياء، وصبر، وأمانة،
لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته، وهذه
الكلمة من غير الروايتين، يتعاطفون بالتقوى متواضعين، يوقرون
فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون
الغريب. قال فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب،
ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح،
يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه، قد ترك نفسه من ثلاث

الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث كان
لا يذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما
يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم
الطير، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، من
تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم، حديث أولهم يضحك
مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على
الجفوة في المنطق، ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها
فارفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد
حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء، أو قيام. هنا انتهى
حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته
صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير، والتفكر، فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع
بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم صلى
الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه،
وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه
القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي بما أصلح أمته، والقيام
لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب
أي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل
الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس
بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت

من ذات نفسها فوقها أو الأنس كما معقوصة ويروى عقيصته وأزهر
اللون نيرة وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي
زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض والأمهق
ولا بالآدم والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأسمر اللون
ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة وأزج الحواجب
الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل
الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف
والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في
حديث أم معبد وصفه بالقرن والأدعج الشديد سواد
الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين وأسجر العين وهو
الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق
الأسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد
في أسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق
المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو
لحم ومتماسك أي معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل
قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس
بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن
والصدر أي مستويهما ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة
فتكون من الإقبال وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان
بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه
وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي ليس بمتقاعس

بلغ مقابلة على أصل صاحب الطاقة والله أعلم

الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح
الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى وحكاه ابن
دريد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث
الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب والكتد
مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان
عظما الذراعين وسائل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر
ابن الأنباري أنه روي سائل الأطراف أو قال سائن
بالنون قال وهما بمعنى تبدل النون من اللام إن صحت
الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وسائر الأطراف فإشارة
إلى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة
أي واسعها وقيل كني به عن سعة العطاء والجود وخمصان
الأخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله
الأرض من وسط القدم ومسيح القدمين أي أملسهما ولهذا
قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا قال فيه
إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله
مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح بن مريم أي لم يكن له
أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا أيضا يخالف قوله
شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى
سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو أي مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد
خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق

فاذا

وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب ○ وقوله
يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه والعرب تتمادح
بهذا وتذم بصغر الفم ○ وأشاح مال وانقبض ○ وحب
الغمام البرد ○ وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة
أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه
للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة
○ ويدخلون روادا أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده
ولا يتفرقون إلا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه أن يكون
على ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر
المعد ○ والموازرة المعاونة ○ وقوله لا يوطن الأماكن أي
لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما ○ وقد ورد نهيه صلى الله عليه
وسلم عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث ○ وصابره أي حبس
نفسه على ما يريد صاحبه ○ ولا تؤبن فيه الحرم أي يذكرن
بسوء ولا تنثى فلتاته أي يتحدث بها أي لم تكن فيه فلتة
وإن كانت من أحد سترت ويرفدون يعينون والصخاب
الكثير الصياح ○ وقوله ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ قيل مقتصد
في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ على يد
سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه ○ وفي حديث
آخر في وصفه منهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب الأشفار
أي طويل شعرها ○

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته

وما خصه به في الدارين من كرامته لا خلاف أنه صلى الله عليه
وسلم أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة
عند الله تعالى وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى ○ واعلم أن
الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على
صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر
فصلا ○

الفصل الأول

فيما ورد من ذكر مكانته عند
ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم
وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب أخبرنا
الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذنا بلفظه قال ثنا أبو الحسن
الفرغاني قال حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها
قال حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن إسماعيل
عن يحيى الحماني قال ثنا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز
وجل قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله أصحاب
اليمين وأصحاب الشمال فأنا من اليمين وأنا خير أصحاب
اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك
قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون
السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل
الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم
فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل

بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وعن أبي سلمة
عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك
النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن
الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل واصطفى من ولد
إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث
أنس بن مالك أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ومن
حديث ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر
وعن عائشة عنه عليه السلام أتاني جبريل عليه السلام
فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل
من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم وعن
أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري
به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما
ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن
عباس عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم أهبطني
في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي
في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة
إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا
على سفاح قط وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضي

رضوان

رضوان الله عليه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس
وأبو هريرة وجابر بن عبد الله أنه قال أعطيت خمسا وفي
بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي
أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي
قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة وفي رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية أخرى
وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية
بعثت إلى الأحمر والأسود قيل السود العرب لأن الغالب
على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض
والسود من الأمم وقيل الحمر الإنس والسود الجن وفي الحديث
الآخر عن أبي هريرة ونصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم
وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي
وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر
أنه قال صلى الله عليه وسلم إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني
والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن

الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف
عليكم أن تنافسوا فيها ۞ وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي
أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة
العرش ۞ وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن
رواية ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت سليمان ملكا
لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من
ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في
جوف السماء وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس
مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب
أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي
غيرك ۞ وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه
أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف
سبعون ألفا ليس عليهم حساب وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب
وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي أمتي شهرا
وطيب لي ولأمتي الغنائم وأحل لنا كثيرا مما شدد على
من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج ۞ وعن أبي هريرة
عنه عليه السلام ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات

ما مثله

ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى
الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة معنى هذا عند
المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء
ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ۞ ومعجزة القرآن
يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا إلى يوم القيامة وفيه
كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه
سوى هذا آخر باب المعجزات ۞ وعن علي رضوان الله عليه كل
نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم
أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن
ياسر وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قد حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لا تحل لأحد بعدي
وإنما أحلت لي ساعة من نهار ۞ وعن العرباض بن سارية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عند الله
وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ودعوة أبي إبراهيم
وبشارة عيسى ابن مريم ۞ وعن ابن عباس قال إن الله تعالى
فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات
الله عليهم قالوا فما فضله على أهل السماء قال إن الله تعالى قال
لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية وقال لمحمد
عليه السلام إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية ۞ قالوا فما فضله على
الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا
بلسان قومه الآية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا

كافة للناس ۞ وعن خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن
نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس وأنس
بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم يعني قوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي
أنه قد خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا
نرعى بهما لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث
آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني
فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق
بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء
فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ۞ قال
في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده
مكانه وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم ۞ وفي
رواية أن جبريل قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران
وأذنان سميعتان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته
فوزنني فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم
ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه
عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر
ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا

يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت
عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك على
الله إن الله معك وملائكته ۞ قال في حديث أبي ذر فما هو
إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة ۞ وحكى أبو
محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عليه السلام
عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل
توبتي فقال له الله تعالى من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل
موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد
عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه
وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه
كلمات فتاب عليه ۞ وفي رواية الآجري فقال آدم لما خلقتني
رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول
الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه
مع اسمك فأوحى الله تعالى إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر
النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى
بأبي محمد وقيل بأبي البشر ۞ وروي عن سريج بن يونس أنه
قال إن لله تبارك وتعالى ملائكة سياحين عبادتها كل دار
فيها أحمد أو محمد إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ۞ وروى
ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما أسري بي إلى السماء الدنيا إذا على العرش مكتوب
لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ۞ وفي التفسير عن

ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح
من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن رأى الدنيا
وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي
ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب إني
أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها ۝ وذكر
أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد
أمين ۝ وذكر السمنطاري أنه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله
وعلى الآخر محمد رسول الله ۝ وذكر الأخباريون أن
ببلاد الهند وردا أحمر مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا الله
محمد رسول الله ۝ وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه
إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد
فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى
ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك
قال سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم
محمد إلا نما ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر أحدكم أن
يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن
مسعود أن الله تعالى نظر إلى قلوب العباد فاختار منها قلب
محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ۝
وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما

كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من
بعده أبدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان
إن الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم
تفضيلا الحديث

فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم
بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة
الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات
ربه الكبرى ۝ ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة
الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه
عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار ۝ قال الله تعالى
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى الآية ۝ وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله لقد
رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة
الإسراء به صلى الله عليه وسلم إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله
وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث
كثيرة منتشرة رأينا أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره
يجب ذكرها ۝ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي والفقيه
أبو بحر بسماعي عليهما والقاضي أبو عبد الله التميمي وغير
واحد من شيوخنا قالوا حدثنا أبو العباس العذري قال
ثنا أبو العباس الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودي قال
حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا
شيبان بن فروخ قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا ثابت

الثاني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها
الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن
فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل قد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم
عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء
الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه
ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا
إلى السماء الثالثة فذكر مثله الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف
صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى الرابعة وذكر مثله فإذا أنا
بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى
ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله
فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى
السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي

ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا
بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو
يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب
بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشي تغيرت
فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى
الله تعالى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين
صلاة قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون
ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت
إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت
إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك
فارجع إلى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين
موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم
يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع
إلى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه قال القاضي
رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء

ولم يأت أحد عنه بأشوب من هذا وقد خلط فيه غيره
عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك ابن أبي نمر
فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم
وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك
في حديثه وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا
خلاف أنها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد إنها كانت
قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا ه وقد روى ثابت عن أنس
من رواية حماد ابن سلمة أيضا مجيء جبريل إلى النبي عليه السلام
وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة
مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناس فجود في القصتين
وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان
قصة واحدة وأنه وصل إلى البيت المقدس ثم عرج من
هناك فأزاح كل إشكال أوهمه غيره ه وقد روى يونس
عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج
صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب
ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي
فعرج بنا إلى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله
عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيه تقديم وتأخير وزيادة
ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السماوات وحديث ثابت
عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات

نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا
آدم وإبراهيم عليهما السلام فقالا له والابن الصالح وفيه
من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع
فيه صريف الأقلام وعن أنس ثم انطلق بي حتى أتيت
سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم
أدخلت الجنة ه وفي حديث مالك ابن صعصعة فلما جاوزته يعني
موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي
يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي ه وفي حديث
أبي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة
فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه
فالتفت فبدأني بالسلام ه وفي حديث أبي هريرة ثم سار حتى
أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع
الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال
هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه
قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة
ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل
واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان
ثم ذكر كلام النبي عليه السلام فقال وإن محمدا صلى الله
عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا
أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس

مبشرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل
أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون
وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم بهذا فضلكم
محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما
تقدم ٥ وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي إلى سدرة المنتهى
وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض
فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال الله
تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب
وفي رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس فقيل لي هذه
سدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك
وهي السدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين
وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وإن ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها
الملائكة قال فهو قوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
الله تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا
وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود
ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان
ملكا عظيما وسخرت له الإنس والجن والشياطين والرياح
وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل

وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعذته وأمه من الشيطان
الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه عز وجل
قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب
الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم
الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول
النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني
ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك
فاتحا وخاتما وفي الرواية الأخرى قال فأعطي رسول
الله ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات
وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل
عليه السلام في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شر
أنه رأى موسى في السابعة بتفضيل كلام الله قال ثم
علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن
أن يرفع علي أحد ٥ وقد روي عن أنس أنه صلى
بالأنبياء ببيت المقدس ٥ وعن أنس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام
فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد
في واحدة وقعدت في الأخرى فنمت حتى سدت الخافقين

ولو شئتُ لمسستُ السماء وأنا أقلّب طرفي ونظرتُ جبريل
كأنه حِلسٌ لاطئ فعرفتُ فضل علمه بالله عليّ وفُتح لي باب
السماء ورأيتُ النور الأعظم وإذا دوني الحجاب وفرجه
الدرّ والياقوت ثم أوحى الله تعالى إليّ ما شاء الله أن
يوحي ۝ وذكر البزار عن علي بن أبي طالب عليه السلام
لما أراد الله تعالى أن يعلّم رسوله الأذان جاءه جبريل
بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه
فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم على
الله عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها
إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك إذ خرج
ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب
الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خُلقت قبل ساعتي
هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب
صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله
إلا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا لا إله إلا أنا وذكر
مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حي
على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم أخذ الملك بيد محمد فقدّمه
فأمّ أهل السماء فيهم آدم ونوح ۝ قال أبو جعفر محمد بن علي
ابن الحسين راويه أكمل الله تعالى لمحمد الشرف على أهل السموات
والأرض ۝ قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما في هذا

الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق
فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه إذ
الحجب إنما تحيط بمقدّر محسوس ولكن حجبه على أبصار
خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء
كما قال تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله
في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب يجب أن
يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع
على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته
وجبروته ۝ ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام
عن الملك الذي خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدلّ أن هذا الحجاب لم يختص
بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال
إليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله عز وجل
لا يجاوزها علمهم ۝ وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على
حذف المضاف أي يلي عرش الرحمن أو أمرا ما من عظيم آياته
أو مبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى واسأل
القرية أي أهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق
أنا أكبر فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله عز وجل
ولكن من وراء حجاب كما قال الله تعالى وما كان لبشر أن
يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه حجب
بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه

وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو
قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء رضوان الله عليهم هل كان
إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت
طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم
أن رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معوية
وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه وإليه أشار محمد بن
إسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
إلا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضوان الله عليها ما
فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا
أنا نائم وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر
القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام
وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد
وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر
وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي
حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير
وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن
وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو
دليل قول عائشة وهو قول الطبري وأحمد بن حنبل وجماعة
عظيمة من المسلمين وهذا قول أكثر المتأخرين من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الإسراء

بلغ مقابلة على أصله حسب الطاقة

بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح واحتجوا
بقوله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل إلى المسجد الأقصى
غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح
بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة
له بالإسراء إليه قالوا ولو كان الإسراء بجسده إلى
زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم
اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس أم لا
ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك
حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى
رجعا قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والحق من هذا
والصحيح إن شاء الله تعالى أنه إسراء بالجسد والروح في القصة
كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في
الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة إذ لو كان مناما
لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة
ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء
من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل
لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه
وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء

بيت المقدس في حديث رواية أنس أو في السماء على ما روى
غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح
السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقاءه الأنبياء فيها
وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوات
ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار
فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف
الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة
ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها
النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا
أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست
فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا بدابة وذكر
خبر البراق ۝ وعن أم هانئ قالت ما أسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء
الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم
هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم
الآن كما ترون فهذا بين في أنه بجسمه وعن أبي بكر
من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في
مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد
الأقصى ۝ وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت
الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها
وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي
وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم
إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي وعن أنس قال
أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري وعن
أبي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط
فرفعه الله عز وجل لي أنظر إليه ونحوه عن جابر ۝
وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث
الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثم رجعت إلى
خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل** في إبطال
حجة من قال إنها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس فسماها رؤيا
قلنا قوله سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه لا يقال
في النوم أسرى ۝ وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا
عين وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به

كذا في الأصل

أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من
الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة على أن
المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها
نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك
وقيل غير هذا ◌ وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما
وقوله في حديث أخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا
وهو نائم ◌ وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل
أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسراء
به وهو نائم وليس في الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا
ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في
بعضه وقد يكون قوله استيقظت وأنا في المسجد الحرام
لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والأرض
وخامر باطنه من مشاهدة الملإ الأعلى وما رأى من آيات
ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو
بالمسجد الحرام ◌ ووجه ثالث أن يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده وقلبه حاضر
ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ◌ وقد مال
بعض أصحاب الإشارات إلى نحو من هذا قال بعض أصحاب
الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من

المحسوسات

المحسوسات عن الله ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته
بالأنبياء ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات ◌ ووجه رابع
وهو أن يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من الاضطجاع
ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم وربما
قال مضطجع ◌ وفي رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما
قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا
وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر
شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي من
رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ شق البطن
في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم
وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث قبل أن يبعث والإسراء
بإجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية أنس
مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه
لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك ابن
صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك
وقال مرة كان أبو ذر يحدث وأما قول عائشة ما فقدت جسده
فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجة
ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف
في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول
الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة

في الهجرة بسنة بنحو ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمس
قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والأشبه أنه لخمس والحجة
لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك عائشة
دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر
غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ
وغيره وأيضا فليس حديث عائشة بالثابت والأحاديث الأخر
أثبت لسنا نعني حديث أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة
وأيضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل
بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه
بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده لإنكارها أن
تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم
تنكره فإن قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي
لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد أضاف الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في
قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أي لم يوهم القلب العين
غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه ما رأته عينه

فصل وأما رؤيته عليه السلام لربه عز وجل فاختلف
السلف فيها فأنكرته عائشة رضي الله عنها حدثنا أبو الحسين
سراج ابن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد
الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث قال حدثنا

بلغ

أبو الفضل

أبو الفضل الصقلي قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن أبيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي قال ثنا محمود
ابن آدم قال ثنا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن
مسروق أنه قال لعائشة رضوان الله عليها يا أم المؤ
منين
هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من
حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد
كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار الآية وذكر الحديث وقال
جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن
أبي هريرة أنه إنما رأى جبريل واختلف عنه وقال بإنكار هذا
وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وعن ابن عباس أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه
وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحق
أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه
بعينه
فقال نعم والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه
من طرق وقال إن الله تبارك وتعالى اختص موسى بالكلام
وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى
قال الماوردي قيل إن الله تعالى قسم رؤيته وكلامه
بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين
وحكى أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية
عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس

وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد
رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال إن
الله عز وجل قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه
موسى ورآه محمد بقلبه ٭ وروى شريك عن أبي ذر في
تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى
السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته
بفؤادي ولم أره بعيني ٭ وروى مالك بن يخامر عن
معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر
كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد
الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله تعالى لقد رأى محمد
صلى الله عليه وسلم ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة
٭ وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى
ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه
عز وجل فقال نعم ٭ وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل
رضي الله عنه أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه
رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد ٭ وقال أبو عمر
قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في
الدنيا بالأبصار ٭ وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم
يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة
وابن مسعود والحسن فحكي ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه

وعن

وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن
أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن ابن عطاء
في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره
للرؤية وشرح صدر موسى للكلام ٭ وقال أبو الحسن
علي بن إسمعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة
من أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل
آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها
نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية
٭ ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح
ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤية الله عز وجل في الدنيا
جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها
في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل نبي
ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا
غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي
لا يعلمه إلا من علمه الله تعالى فقال له الله تبارك وتعالى
لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له
مثلا مما هو أقوى من بنية موسى عليه السلام وأثبت وهو
الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل
فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على
استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير

مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه
الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي
قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم
بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على
الجملة ● وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا
تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل
لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه
التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها ● و
وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية وقوله
تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من
قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا
فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى عليه السلام
وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس
للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم
تقدره لي ● وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله عز وجل
لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا
وأنه من نظر إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين
ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات
والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة
وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار

أبصارهم وقلوبهم قوة يقوون بها على الرؤية ● وقد رأيت
نحو هذا لمالك بن أنس رضي الله عنه قال لم ير في الدنيا
لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة
ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة
فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل
أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة
بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة
إلهية منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله
أعلم ● وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن
الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله تعالى فلذلك
خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه
الله تعالى له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله تعالى ولكن
انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم
قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا
القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا
ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى
رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبرؤية
الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه
وسلم له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز

إذ ليس في الآيات نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه
وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص
إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع بينهما مأثور
والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن
اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل
باعتقاد مضمنه ه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية
وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن
وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور
أنى أراه ه وحكى بعض شيوخنا أنه روي أنه نوراني
أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس
يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فإن كان
الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله تعالى وإنما
رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع
قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي
للبصر ه وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي
الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا
ثم دنا فتدلى والله تعالى قادر على خلق الإدراك الذي
في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص
بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه
ولا مانع قطعي يرده والله الموفق **فصل** وأما ما

بلغ

ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله
فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين
على أن الموحي الله تعالى إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا شذ
منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق رضوان الله عليه
قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب
بعض المتكلمين أن محمدا عليه السلام كلم ربه في الإسراء وحكي
عن الأشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره
آخرون ه وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء
عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنا فتدلى قال فارقني
جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول
ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في
الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما
كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل
رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من
وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام وبإرسال الملائكة
كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم
الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة
مع المشاهدة ه وقيل الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي دون
واسطة ه وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي عليه السلام في
حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه
وسلم بكلام الله تعالى من الآية فذكر فيه فقال الملك

وذا

اوضح

الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي
أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ونجيء
الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما
يشبهه وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير
ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك
خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن
حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب العزيز وأكده بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث
في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا
كله حتى بلغ مستوى وسمع فيه صريف الأقلام فكيف
يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان من خص
من يشاء بما يشاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات ه

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر
الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنا فتدلى
فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو
والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام أو مختص
بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي
وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى
من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب
وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي

عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه أي أمره
وحكمه ه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد
صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن
يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم
ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت
عني الأصوات وسمعت كلام ربي ه وعن أنس في الصحيح
عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى
إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء
ه وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد من ربه تبارك وتعالى
فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه
منه حتى كان منه كقاب قوسين ه قال وقال جعفر بن محمد
والدنو من الله عز وجل لا حد له ومن العباد بالحدود وقال
أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل
عن دنوه ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان
فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم
أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله تعالى أو إلى
الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا
عن جعفر الصادق رضوان الله عليه ليس بدنو حد وإنما

دنو النبي عليه السلام من ربه وقربه منه إبانة عظيم
منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة
أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس
وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا
إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال
وقبول وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا
جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا
يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله
قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا إلى الله تعالى
لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف
المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى
الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب
وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول
فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه
ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قرب بالإجابة
والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول

فصل

في ذكر تفضيله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بخصوص
الكرامة حدثنا القاضي أبو علي قال حدثنا أبو الفضل
وأبو الحسين قالا حدثنا أبو يعلى قال حدثنا السنجي قال
ثنا ابن محبوب قال ثنا الترمذي قال ثنا الحسين بن يزيد
الكوفي قال ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن

أنس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول
الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا
مبشرهم إذا أبلسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على
ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس
في لفظ هذا الحديث أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائد
إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا
وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد
آدم على ربه ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ
مكنون وعن أبي هريرة وأكسى حلة من حلل الجنة
ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا
أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر وعن أبي هريرة عنه
صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول
من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وعن ابن
عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول
شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة
فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم
الأولين والآخرين ولا فخر وعن أنس أنا أول الناس
يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا وعن أنس قال قال

هم

قوله صلى الله عليه وسلم ولا فخر [illegible] في الدنيا
فخر أي [illegible] الفخر
عندي [illegible] في الدنيا والآخرة
[illegible] الفخر الأكبر في
الدنيا والآخرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين وذكر
حديث الشفاعة ۝ وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه
وسلم قال أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة
وفي حديث آخر أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى
فيكم يوم القيامة ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة أما
إبراهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك
وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى وإن
عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به ۝
قوله أنا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا
ويوم القيامة ولكن أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد
والشفاعة دون غيره إذ لجأ الناس إليه في ذلك
فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في
حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم
يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والآخرة
لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا
وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة
فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى وعن أنس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم
القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد

فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك ۝ وعن عبد الله بن
عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي
مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه
أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ
أبدا ۝ وعن أبي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان
إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة ۝ وعن ثوبان
مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي
رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء ۝ وقال
أنس أيلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر
الأسود ۝ وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر وسمرة
وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي
والمستورد وأبو برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان
وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله بن
زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وأبو سعيد
الخدري وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة والبراء
وجندب وعائشة وأسماء بنتا أبي بكر وأبو بكرة وخولة
بنت قيس وغيرهم رضوان الله عليهم

فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار
الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين
بحبيب الله تعالى ۝ أخبرنا أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب
وغيره عن كريمة بنت أحمد قالت حدثنا أبو الهيثم ح وحدثنا

اللبن
صوابه غفلة
له
محمد

حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه قال حدثنا القاضي أبو
الوليد قال ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنا أبو الهيثم قال ثنا أبو
عبد الله محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن إسمعيل قال ثنا
عبد الله بن محمد قال ثنا أبو عامر قال ثنا فليح قال ثنا أبو النضر
عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر وفي
حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن
مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال
جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال
فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ما
ذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى
كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم
فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن الله اتخذ إبراهيم
خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله
ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول
شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا
أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وفي حديث أبي هريرة
من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك خليلا

فهو

بلغ مقابلة على أصله بحسب الطاقة ولله الحمد

فهو مكتوب في التوراة أنت حبيب الرحمن قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة
وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله تعالى الذي
ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل
الخلة الاستصفاء وسمي إبراهيم خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي
فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما لمن بعده وقيل الخليل
أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي
بها إبراهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم
يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال ألك حاجة قال أما إليك فلا وقال أبو بكر بن
فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل
الأسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها الإسعاف
والإلطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه
بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ
بذنوبه قال هذا والخلة هنا أقوى من البنوة لأن
البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال الله تعالى إن من
أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا يصح أن تكون عداوة
مع خلة فإذا تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة
إما بانقطاعهما إلى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع

عن من دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب أو لزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه عندهما
وما خالط بواطنهما من أسرار الهيبة ومكنون غيوبه
ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عن سواه
حتى لم يكن لهما صاحب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله
عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا
لكن أخوة الإسلام ٥ واختلف العلماء أرباب القلوب أيهما
أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلهما بعضهم سوا فلا
يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا لكنه خص إبراهيم
بالخلة ومحمدا بالمحبة ٥ وبعضهم قال درجة الخلة أرفع واحتج
بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم
يتخذه وقد أطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها وأسامة
وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة لأن درجة
الحبيب نبينا عليه السلام أرفع من درجة الخليل إبراهيم
عليه السلام وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ولكن
هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي
درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض
فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة
أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال

الحديث

في الحديث فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي أن يفهم
من هذا سوى التجرد لله تعالى والانقطاع إلى الله والإعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات لله كما قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر
بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكت كنت الغليلا

فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه
السلام بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول
من الأمة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية
حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما
يريد محمد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل
الله تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل
أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بأمرهم بطاعته وقرنها
بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فإن
تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ٥ وقد نقل الإمام أبو بكر
بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين
المحبة والخلة يطول جملة إشارته إلى تفضيل مقام المحبة
على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى ما بعده من

الحركة

قال

ذلك فوق همة الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري
إبراهيم ملكوت السموات والأرض والحبيب يصل بحبيبه
به من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل
الذي تكون مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية والخليل قال
ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله
النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في
المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله
والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل
له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل قال
واجنبني وبني أن نعبد الأصنام والحبيب قيل له إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من
تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم
أعلم بمن هو أهدى سبيلا

فصل

في تفضيله صلى
الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود قال الله سبحانه
عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني
الجياني فيما كتب به إلي بخطه قال حدثنا سراج بن عبد الله
القاضي قال ثنا أبو محمد الأصيلي قال ثنا أبو زيد وأبو أحمد
قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال
حدثنا إسمعيل بن أبان قال حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي

قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة
جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان
اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود ۞ وعن أبي هريرة سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن
مالك عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا
وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول
ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود ۞ وعن ابن عمر وذكر حديث
الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه
الله المقام المحمود الذي وعده ۞ وعن ابن مسعود عنه صلى الله
عليه وسلم أنه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره
يغبطه فيه الأولون والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي
رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه ۞ وعن ابن مسعود أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لقائم المقام المحمود
قيل له وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث
وعن أبي موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين أن يدخل
نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم
أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين ۞ وعن أبي هريرة
قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه ۞ وعن أم

حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أُريت ما تلقى
أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله
ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله تعالى أن يؤتيني شفاعة
يوم القيامة فيهم ففعل ۞ وقال حذيفة يجمع الله تعالى
الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه
فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك
والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين
يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود
الذي ذكر الله تعالى ۞ وقال ابن عباس إذا دخل أهل
النار النار وأهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة
وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة
ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم أهل
الجنة فيأتون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل
يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك
المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره علي
بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي
يبعثه الله تعالى فيه قال نعم قال فإنه مقام محمد صلى الله عليه
وسلم المحمود الذي يخرج الله عز وجل به من يخرج يعني من النار

وذكر حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه
وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان المقام
المحمود هو الشفاعة في أمته يوم القيامة ۞ وقال قتادة
كان أهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى
أن المقام المحمود هو مقامه يوم القيامة للشفاعة مذاهب
السلف من الصحابة والتابعين والمسلمين وبذلك جاءت
منتشرة في صحيح الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم ففي رواية أنس
وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال
صلى الله عليه وسلم يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة
فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا
ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض ۞ وعن أبي هريرة
فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون
زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء
كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى
ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي
اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون
أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا
ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقو

إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله نفسي نفسي قال وفي رواية أنس ويذكر خطيئته
التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ۵ وفي رواية أبي هريرة
وكانت لي دعوة دعوتها على قومي إذهبوا إلى غيري اذهبوا
إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي
الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه
فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر
ثلاث كذبات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
فإنه كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه
وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر
خطيئته التي أصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم
بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
فيأتوني فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن
لي فإذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش
فأخر ساجدا وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد
لا أقدر عليها الآن يلهمنيها الله تعالى ۵ وفي رواية فيفتح الله
علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد
قبلي ۵ قال وفي رواية أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع
رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب
أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه

من الباب

من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى
ذلك من الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وقال
مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع لك
وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتي أمتي فيقال انطلق
فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه
فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الأول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل
ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه
أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في
المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع
وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله
قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله ۵ وفي
رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول
يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود
۵ وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله
قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فتقومان
جنبتي الصراط ۵ وذكر في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون
محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم
كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على
الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر

أخرهم جواز الحديث وفي رواية أبي هريرة عنه فأكون
أول من يجيز وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم يوضع
للأنبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى
ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى
أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى أن خازن
النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من
نقمة ۝ ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق الأرض عن جمجمته
ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء
الحمد يوم القيامة وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ
بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار تبارك وتعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم
ومن رواية أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر فقد
اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته صلى الله عليه وسلم
ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين تجتمع
الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس
والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة

الناس

الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث
عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل
من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع
فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسوى النبي صلى الله
عليه وسلم ۝ وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو
بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم
معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم وتبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم
لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم
منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف
وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين
من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي
هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب
له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة
۝ وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي
دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن
أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة
المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى
الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا
أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم
الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله أحسن

السؤال

ما جرا أنبياء عن أمته وصلى الله عليه كثيرا وسلم

فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة
والكوثر والفضيلة ۝ حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن
علي التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليه
قالا حدثنا أبو علي الغساني قال ثنا النمري قال ثنا ابن عبد
المؤمن قال ثنا أبو بكر التمار قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد
بن سلمة قال ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد
بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير
عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم
سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من
عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله تعالى لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة ۝ وفي حديث آخر عن أبي
هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة ۝ وعن أنس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ
عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا
قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده
إلى طينته فاستخرج مسكا ۝ وعن عائشة وعبد الله بن عمرو
مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من
العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم
يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض
ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا قال الكوثر
الخير الذي أعطاه الله إياه قال سعيد بن جبير والنهر
الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه ۝ وعن حذيفة فيما
ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه قال وأعطاني الكوثر نهر
في الجنة يسيل في حوضي ۝ وعن ابن عباس في قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ
ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية أخرى وفيه
وما ينبغي له من الأزواج والخدم

فصل

فإن قلت إذا تقرر
من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه صلى الله عليه
وسلم أكرم البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الأسدي ثنا السمرقندي
ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا ابن
مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت أبا
العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي
لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير
هذا الطريق عن أبي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد
الحديث وفي حديث أبي هريرة في اليهودي الذي
قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار
وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا

فبلغ ذلك النبي عليه السلام فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي
رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا أقول إن
أحدا أفضل من يونس بن متى ه وعن أبي هريرة ومن
قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا
يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي حديث
الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم
فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات أحدها أن نهيه
عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن
التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله
هو وإنما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني أنه قاله صلى الله
عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم
من الاعتراض الوجه الثالث أن لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي
إلى تنقص بعضهم أو الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام
إذ أخبر الله تعالى عنه بما أخبر لأن لا يقع في نفس من لا يعلم
منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى
عنه إذ أبق إلى الفلك المشحون إذ ذهب مغاضبا فظن أن
لن نقدر عليه فربما تخيل من لا علم عنده حطيطته بذلك
ه الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فإن الأنبياء عليهم السلام فيها على حد واحد إذ هي شيء واحد
لا تفاضل وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات

تخيروني

والرتب والألطاف وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وإنما
التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم
أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن أوتي
الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم
الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض الآية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الآية قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم في هنا
الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته أبهر
وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل
وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى به من
كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما
شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه ه وقد روي
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة أثقالا وإن يونس
تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع
الفتنة من أوهام من يسبق إليه بسببها جرح في نبوته
أو قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته
شفقة منه عليه السلام على أمته وقد يتوجه على هذا
الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى القائل
نفسه أي لا يظن أحد وإن بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة
ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما أخبر الله تعالى عنه فإن
درجة النبوة أفضل وأعلى وأن تلك الأقدار لم تحطه

عنها حبة خردلة ولا أذى وستزيد في القسم الثالث
في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما
حررناه شبهة المعترض

فصل في أسمائه عليه السلام

وما تضمنته من فضيلته صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو عمران
موسى بن أبي تليد الفقيه قال نا أبو عمر الحافظ قال نا سعيد
بن نصر نا قاسم بن أصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك
عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا
الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي وأنا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه
محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له أنه ضمن أسماءه ثناءه وطوى
أثناء ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من
صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو عليه
السلام أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو
أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة
ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد
ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون
والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال
صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى أمته في كتب
أنبيائه بالحامدين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين
الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر وهو أن
الله تعالى حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي
أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته
أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى
لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا
لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده
صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى
قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم
هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن
الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن
براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران
الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال
إن أول من سمي محمدا محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن
اليحمد من الأزد ثم حمى الله عز وجل كل من تسمى به أن
يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك
أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم
ولم ينازع فيهما ❁ وأما قوله وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى
بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد
العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك
أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى
ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي
محيت به سيئات من اتبعه وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس

على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم
النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء وفي الصحيح
أنا العاقب الذي ليس بعده نبي وقيل معنى على قدمي أي
يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا ه وقيل على قدمي على سابقتي
قال الله تعالى لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي أي
قدامي وحولي أي يجتمعون إلي في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى
قوله لي خمسة أسماء قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم وقد روي عنه
عليه الصلاة والسلام لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس
حكاه مكي ه وقد قيل في بعض تفاسير طه أنه يا طاهر يا
هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر
بن محمد وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في
الحديث الأول قال وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول
الملاحم وأنا المقفى قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل
كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه
بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير وقد وقع في كتب
الأنبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة
بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه صلى الله
عليه وسلم لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه
والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم هي

ست محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح وفي حديث
أبي موسى الأشعري أنه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه
أسماء فيقول أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة
ونبي الملحمة ويروى نبي المرحمة والرحمة وكل صحيح إن شاء الله
تعالى ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين وأما نبي
الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما وصفه بأنه يزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين
رؤوف رحيم وقد قال في صفة أمته إنها أمة مرحومة وقد قال
تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم
بعضا فبعثه ربه تبارك وتعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين
ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل أمته أمة مرحومة
ووصفها بالرحمة وأمرها عليه السلام بالتراحم وأثنى عليه فقال
صلى الله عليه وسلم إن الله يحب من عباده الرحماء وقال
عليه السلام الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض
يرحمكم من في السماء وأما رواية نبي الملحمة فإشارة إلى
ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي
صحيحة ه وروى حذيفة مثل حديث أبي موسى وفيه
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم ه وروى
الحربي في حديثه أنه صلى الله عليه وسلم قال أتاني
ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع قال والقثوم الجامع

عليه ح

يوم القيمة ح

قثم هو مشتق من القثم
وهو الإعطاء يقال قثم له
من العطاء يقثم إذا أعطاه
وكان عليه السلام أجود
بالخير من الريح الهابة
قاله ابن الجوزي في كشف المشكل

بالخير وهذا الاسم هو في أهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم
وقد جاءت من ألقابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة
كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين
وخاتم النبيين والرءوف والرحيم والأمين وقدم الصدق
ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط
المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي وداعي الله
في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله
المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة
جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد
ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين
وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود
والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب
الهراوة والنعلين ومن أسمائه في الكتب المتوكل والمختار
ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط
في الإنجيل قال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل

ومن أسمائه

بلغ مقابلة على أصل حسب الطاقة

ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب
طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار قال
ثعلب فالخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا
وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة
أحيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب
أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من
حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب
الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الآن
عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة
العصا وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض
أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن وأما التاج فالمراد
به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان
العرب وأوصافه وألقابه وسماته صلى الله عليه وسلم في
الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله وكانت
كنيته المشهورة أبا القاسم وروي عن أنس أنه لما ولد له
إبراهيم جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك
يا أبا إبراهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما

سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما أحرى هذا الفصل
بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه
بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنبا

بلغ

طه

ولا أثار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند الخوض
في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله
فاعلم أن الله تعالى خص كثيرًا من أنبيائه بكرامة
خلعها عليهم من أسمائه كتسميته إسحق وإسماعيل بعليم
وحليم وإبراهيم بحليم ونوحًا بشكور وعيسى ويحيى ببر
وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وأيوب بصابر
وإسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز
في مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بأن
حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة
اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم
نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف
فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسمًا
ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علمه منها وحققه يتم النعمة
بإبانة ما لم تظهره لنا الآن ويفتح غلقه فمن أسمائه تعالى
الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون أيضًا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى
النبي عليه السلام محمدًا وأحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع
اسمه في زبر داود وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد
وقد أشار إلى نحو هذا حسان بن ثابت بقوله
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب
وسماه

في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رءوف رحيم ومن أسمائه
تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره وكذلك
المبين أي البين أمره وإلهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى
المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال
وقل إني أنا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه
ههنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره وهو بالمعنى الأول
والمبين البين أمره ورسالته أو المبين عن الله ما بعثه به كما قال
لتبين للناس ما نزل إليهم ومن أسمائه تعالى النور ومعناه
ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض بالأنوار ومنور
قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورًا فقال تعالى قد جاءكم من
الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه
وسراجًا منيرًا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير
قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن أسمائه تعالى
الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة
وسماه شهيدًا وشاهدًا فقال تعالى إنا أرسلناك شاهدًا وقال
ويكون الرسول عليكم شهيدًا وهو بمعنى الأول ومن أسمائه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو
وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه الأكرم
وسماه الله تعالى كريمًا بقوله إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل

جبريل وقال صلى الله عليه وسلم أنا أكرم ولد آدم ومعاني
الاسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم ۝ ومن أسمائه تعالى
العظيم ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال
في النبي صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم ووقع في أول
سفر من التوراة عن إسماعيل وسيلد عظيما لأمة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ۝ ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه
المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشأن وقيل
المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار
فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة
بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما
لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره لأعدائه أو لعلو
منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن
جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار ۝
ومن أسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم
بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسأل به
خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي
صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم
وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول
الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه
عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم
معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به ۝ ومن أسمائه

تعالى

تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق
والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله تعالى إن
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر
وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه
محمدا عليه السلام بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من رواية
الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة وفيه من
قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى
الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هاهنا بمعنى الحاكم أو الفاتح
لأبواب الرحمة على أمته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان
بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهداية الأمة أو المبدأ المقدم
في الأنبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت أول
الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ۝ ومن أسمائه تعالى
في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل
المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا صلى الله عليه
وسلم فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال أفلا أكون عبدا شكورا أي معترفا
بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة
من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ۝ ومن أسمائه
تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه

صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال سبحانه
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ۝
ومن أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء
قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا
آخر وقال صلى الله عليه وسلم كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم
في البعث وفي هذا تفسير لقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أشار
إلى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الآخرون
السابقون وقوله أنا أول من تنشق الأرض عنه وأول من
يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر
الرسل صلى الله عليه وسلم ۝ ومن أسمائه تعالى القوي
وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك
فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل
۝ ومن أسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في
الحديث أيضا اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق ۝ ومن
أسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى
إنما وليكم الله ورسوله ۝ وقال صلى الله عليه وسلم أنا ولي كل
مؤمن وقال الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ۝ وقال
صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ۝ ومن أسمائه
تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه

عليه

عليه السلام في القرآن والتوراة وأمره بالعفو فقال تعالى
خذ العفو وأمر بالعرف وقال تعالى فاعف عنهم واصفح وقال
له جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال أن تعفو عمن
ظلمك وقال في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور في صفته
صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح
۝ ومن أسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله تعالى
لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى
والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
وأصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير
طه أنه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
له وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا إلى الله بإذنه
وسراجا منيرا فالله تعالى مختص بالمعنى الأول قال سبحانه إنك
لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة
يطلق على غيره تعالى ۝ ومن أسمائه تعالى المؤمن المهيمن
وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق
وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين
ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا
من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى
الأمين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل إن قولهم
في الدعاء آمين إنه اسم من أسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي عليه السلام أمين

ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى أمينا فقال مطاع
ثم أمين وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالأمين وشهر به
قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله
ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا أيها المهيمن قاله القتيبي والإمام أبو القاسم
القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أي
يصدق وقال أنا أمنة لأصحابي فهذا بمعنى المؤمن ۞ ومن
أسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر
من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الأنبياء
عليهم السلام في أسمائه صلى الله عليه وسلم المقدس أي المطهر
من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر أو الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه
عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات
إلى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الأخلاق الذميمة
والأوصاف الدنية ۞ ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
أي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه
بالبشارة والنذارة فقال سبحانه يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقال تعالى إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله تعالى
مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل

معصيته

معصيته ۞ ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه
ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي
الله عنه وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بهذا
القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم
سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن
شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله تبارك وتعالى في عظمته
وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه
شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي
إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ
صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه
عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله
تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين
المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا
معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي بيانا وهي
مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله
فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت
الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن
تكون للذات المحدثة صفة قديمة ۞ وهذا كله مذهب أهل

الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم. وقد فسر الإمام
أبو القاسم القشيري قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية
تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله
فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل ولا
بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل
الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه. وقال آخر من مشايخنا
ما توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم. وقال الإمام أبو المعالي الجويني من اطمأن إلى موجود
انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو
معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد. وما أحسن قول ذي النون المصري
حقيقة التوحيد أن تعلم أن الله تعالى في الأشياء بلا علاج
وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه
وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس
محقق والفصل الآخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء
والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث
تفسير لقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون
ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا
طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى

على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله حسب المتأمل أن يحقق
أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها
وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن إليها ونذكر
شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من أبطل
نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم
وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا
الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره
عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما
بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة
وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة
كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر
في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد
في إسلامه والإيمان به. فروينا عن الترمذي وابن
قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته
لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه
ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله

قال ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن أبي رمثة التيمي قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله ۝ وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم فقلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا ۝ وفي خبر الجلندى ملك

عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي ۝ وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله عز وجل لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا ۝ كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل

اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزا

يتل أنا

معجزات

تبارك وتعالى

نبياء

تهم

وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجز مع التحدي من
النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج
عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات
أئمتنا رحمهم الله ۞ والنبوة في لغة من همز مأخوذة
من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا
والمعنى أن الله عز وجل أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه
فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول أو تكون مخبرا عما بعثه
الله به ومنبئا بما أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون
عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض
معناه أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة
فالوصفان في حقه مؤتلفان وأما الرسول فهو المرسل
ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادرا وإرساله أمر
الله تعالى له بالإبلاغ إلى من أرسله إليه واشتقاقه من
التتابع ۞ ومنه قولهم جاء الناس أرسالا إذا تبع بعضهم
بعضا فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه
واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين
فقيل هما سواء وأصله من الإنباء وهو الإعلام واستدل بقوله
تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد أثبت
لهما معا الإرسال قال ولا يكون النبي إلا رسولا ولا الرسول
إلا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوة

التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة
لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول
وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها
التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن
تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما أرسلنا من نبي
إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب بعضهم إلى
أن الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يأت به نبي غير
رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار والصحيح والذي عليه الجم
الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وأول
الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث
أبي ذر رضي الله عنه أن الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة
وعشرون ألف نبي وذكر أن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة
عشر أولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا
عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية
في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وأما الوحي فأصله
الإسراع فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي
وحيا وسميت أنواع الإلهامات وحيا تشبيها بالوحي إلى النبي
وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب
واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى فأوحى إليهم
أن سبحوا بكرة وعشيا أي أومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم
الوحي الوحي أي السرعة وقيل أصل الوحي السر والإخفاء

ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه قوله تعالى وإن الشياطين ليوحون
إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى
وأوحينا إلى أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك في
قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي ما يلقيه في
قلبه دون واسطة

فصل

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت
به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي
على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه
فتعجيزهم عنه فعل لله تعالى دل على صدق نبيه كصرفهم
عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على
رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا
على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية وإخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الأصابع وانشقاق
القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على
يد النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من
يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له واعلم أن المعجزات التي ظهرت
على يد نبينا عليه السلام ودلائل نبوته وبراهين صدقه
من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم
آية وأظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها
ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته
بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد
تحدى بسورة منه فعجز عنها قال أهل العلم وأقصر السور

إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته عليه السلام على قسمين قسم
منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف
بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله
بحجته فإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد
عليه السلام في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة
به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه
إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض
أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه
صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد
منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها
على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه
عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى
وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وأن ذلك بمثابة قوله
صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا صلى الله عليه
وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما تعلم ضرورة جود حاتم
وشجاعة عنترة وحلم أحنف بن قيس لاتفاق الأخبار
الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم
هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته
والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على

نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به
عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من
بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
أو الاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره
لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان
بالمعجز كما قدمنا قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وأنا
أقول صدعا بالحق أن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه
صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن
نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر
إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة
فلا توهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت
إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل
نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء
وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير
عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة
متصلا عن من حدث بها من جملة الصحابة وإخبارهم أن ذلك
كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة
بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل
المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم
رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون

عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك
رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير
معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء
رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم
بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق
بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار التي
لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول
الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة
وأعلام نبينا عليه السلام هذه الواردة من طريق الآحاد
لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق
وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها
واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا وللطاعن
عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه
بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا
حق لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ
أبو بكر وغيرهما رحمهما الله وما عندي أوجب قول القائل
أن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته
للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا
فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب
في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا

يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر
فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها
مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس
لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب
مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة
أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من
رمضان عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة
والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص
في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط
الولي في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم
ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من
مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد
الكلام فيها بيانا إن شاء الله

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله تعالى العزيز منطو على وجوه
من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة
وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه
إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب
هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم
ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم
يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله
ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على

البديهة

بلغ مقابلة على أصله حسب الطاقة

البديهة بالعجب ويدلون بها إلى كل سبب فيخطبون بديها
في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون
ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطرون
من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب
ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون
الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان
ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم
البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم
والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري
ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة
والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في
البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج
والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة
ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا
في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا
في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم
إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته

وفصلت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته
على كل مقول، وتضافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت
حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت
كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه
وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه، وهم أفسح ما كانوا
في هذا الباب مجالا، وأشهر في الخطابة رجالا، وأكثر
في السجع والشعر ارتجالا، وأوسع في الغريب واللغة
مقالا، بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها
يتناضلون، صارخا بهم في كل حين، ومقرعا لهم بضعا
وعشرين عاما على رءوس الملإ أجمعين، أم يقولون
افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من
دون الله إن كنتم صادقين، وإن كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا
وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وقل فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات، وذلك أن المفترى أسهل، ووضع الباطل
والمختلق على الاختيار أقرب، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان
أصعب، ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له، وفلان يكتب كما
يريد، وللأول على الثاني فضل، وبينهما شأو بعيد، فلم يزل
يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع، ويوبخهم غاية
التوبيخ، ويسفه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم،

ويذم

ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم،
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته
يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب، والإغراء بالافتراء،
وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر، وسحر مستمر
وإفك افتراه، وأساطير الأولين، والمباهتة والرضا بالدنية،
كقولهم قلوبنا غلف، وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب، ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون، والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا، وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا
ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم
وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم، وإلا فلم يخف على أهل
الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، بل
ولوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين، من بين مهتد وبين مفتون
ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن
الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى الآية قال
والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق،
وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر، وذكر أبو عبيد أن
أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحته، وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا

هو يتلو على أساقفته فتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من
بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع
رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها
فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام
من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه الآية ۞ وحكى الأصمعي أنه سمع
كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا
فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه
الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين
وبشارتين ۞ فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف
إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن
من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة
وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب
عن الإتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة
وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها
عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته وأنت إذا
تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة ۞ وقوله ولو ترى
إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ۞ وقوله تعالى
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم ۞ وقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء

أقلعي

أقلعي الآية وقوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من
أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر
القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها
وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما
زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت
المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام
بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف
عليه السلام على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت
العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة
تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها
ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل

الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب
والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج
نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت
فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له
ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم
وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس
كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ولما

سمع كلام محمد صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة
وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكرا عليه قال
والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه
الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين
جمع قريشا عند حضور الموسم وقال إن وفود العرب
ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته
قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا
نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من
هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل وإن أقرب القول أنه
ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه
والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا
على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى في الوليد
ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد
علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت
مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال
النضر بن الحرث نحوه وفي حديث إسلام أبي ذر ووصف

أخاه

أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس
لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم
وأنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى
الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر
كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم
ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان
أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون
والأخبار في هذا كثيرة صحيحة والإعجاز بكل واحد من
النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب
بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب
على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها
مباين لفصاحتها وكلامها وإلى هذا ذهب غير واحد من
أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز
في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع
وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله
ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف
خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما
قلناه وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم
عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة
ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح
أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة

عرق

وما يلتئم

أقراء الشعر طرقه وأنواعه واحدها قرء يقال هذا الشعر على قرء هذا قاله الهروي في الغريبين

ب

ع

عن اقتدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا

وقد ذهب الشيخ أبو الحسن علي بن إسمعيل الأشعري إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة

وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الأنف وإباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها هو أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبية من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من إعجازه

فصل الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه

من الأخبار

٩٥

من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره على الدين كله وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام واستخلف المؤمنين في الأرض ومكن لهم فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية وقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الآية وقوله تعالى لن يضروكم إلا أذى

ذكره البغوي في تفسيره

وإن يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار
المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول وقوله تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون
لك الآية وقوله تعالى من الذين هادوا سماعون
للكذب الآية وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه إلى قوله وطعنا في الدين ۝ وقد قال
مبديا ما قدره الله تعالى واعتقده المؤمنون يوم بدر
وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون
أن غير ذات الشوكة تكون لكم ۝ ومنه قوله تعالى إنا
كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك أصحابه بأن الله عز وجل كفاه إياهم وكان المستهزئون
نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله
تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل

الوجه الرابع ما أنبأ الله عز وجل به من أخبار
القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان
لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه
وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك
بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه صلى

الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة
ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان
أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه عليه السلام عن هذا فينزل
عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء
مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من
الأنبياء وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزبور
وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن
بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا
كله فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه
عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة
سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم إياه عن أخبار
أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن
الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم
الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم
من الأنعام ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم
ببغيهم ۝ وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل
وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم

وتعريفهم [2]

وعرفهم بما أوحي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل
أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده أو
حسدهم إياه كأهل نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم
ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم
من ذلك لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته وكشف
دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى
قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع
فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه
يده ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه
ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا أهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
ويعفو عن كثير الآيتين **فصل** هذه الوجوه الأربعة
من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة
في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في
قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على
ذلك كقوله تعالى لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة من دون الناس الآية قال أبو إسحاق
الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة
الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت إن كنتم الآية وأعلمهم أنهم
لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص

بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله تعالى عن تمنيه وجزعهم
ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحي إليه إذ لم يتمنه أحد
منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله
يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال
أبو محمد الأصيلي من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة
ولا واحد من يوم أمر الله تعالى نبيه بذلك صلى الله عليه
وسلم يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن
أراد أن يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث
وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى
عليه آية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا
منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي
كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن
تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل
في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في
التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب
سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم
عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي على المكذبين
به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما
قال الله تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال

صلى الله عليه وسلم إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه
مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه
وتصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال
تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الآية ويدل
على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم
تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي
فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت
جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة
وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور
فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون
إلى قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك
أول ما وقر الإيمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة
أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده
الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ
وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى
إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري

بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه
فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذنا
بمثله قط فما دريت ما أقول له وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن
ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه
فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي
الآية فرجع فمحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما
هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن
حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه رام شيئا من
هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج
بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على
التوبة والإنابة [والأوبة]

فصل

ومن وجوه إعجازه
المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل
الله تعالى بحفظه فقال تبارك وتعالى إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسائر معجزات الأنبياء
انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز
الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة
خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله
إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار
كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة

وفرسان الكلام، وجهابذة البراعة، والملحد فيهم كثير،
والمعادي للشرع عتيد، فما منهم من أتى بشيء يؤثر في
معارضته، ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدر فيه على
مطعن صحيح، ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند
شحيح، بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في
العجز بيديه، والنكوص على عقبيه.

فصل

وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه
وجوها كثيرة، منها أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل
الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب
له محبة، ولا يزال غضا طريا، وغيره من الكلام ولو بلغ في
الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد، ويعادى
إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، ويؤنس
بتلاوته في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها
ذلك، حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها، ولهذا وصف رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة
الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، هو الفصل
ليس بالهزل، لا يشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء،
ولا تلتبس به الألسنة، هو الذي لم تنته الجن
حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى
الرشد. ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب

لعله

عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها
ولا القيام بها، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها
كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق
الحجج العقليات، والرد على فرق الأمم ببراهين قوية
وأدلة سهلة بينة الألفاظ موجزة المقاصد، رام المتحذلقون
بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها، كقوله تعالى
أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق
مثلهم، وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة، ولو كان فيهما
آلهة إلا الله لفسدتا، إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم
والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم
قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء، ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء، ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل، وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى أنزل
هذا القرآن آمرا وزاجرا، وسنة خالية، ومثلا مضروبا، فيه
نبأكم، وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا
يخلقه طول الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل
من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به
فلج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك
به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره
أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم
والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء

قوله فلج بالجيم أي انتصر

النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، ولا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على
كثرة الرد، ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا
يتشان فيه نبأ الأولين والآخرين، وفي الحديث قال الله
عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم إني منزل عليك توراة
حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما، وقلوبا غلفا فيها
ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب، وعن كعب عليكم بالقرآن
فإنه فهم العقول، ونور الحكمة، وقال الله تعالى إن هذا القرآن
يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال
هذا بيان للناس وهذي الآية تجمع فيه مع وجازة ألفاظه
وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على
الضعف منه مرات، ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول
وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه، وإيجازه وبلاغته
وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه، ووعده، ووعيده، فالتالي
له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة
منفردة، ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن
في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس، وأوعى للقلوب
وأسمح في الآذان، وأحلى على الأفهام، فالناس إليه أميل، والأهواء
إليه أسرع، ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه، وتقريبه على
متحفظيه، قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر، وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم، فكيف الجماعة

على مرور السنين عليهم، والقرآن ميسر حفظه للغلمان
في أقرب مدة، ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف
أنواعها والتئام أقسامها، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى
والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه، وانقسام
السورة الواحدة على أمر ونهي، وخبر واستخبار، ووعد
ووعيد، وإثبات نبوة، وتوحيد، وتقرير، وترغيب، وترهيب
إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله، والكلام
الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته، ولانت جزالته
وقل رونقه، وتقلقلت ألفاظه، فتأمل أول ص وما جمع
فيها من أخبار الكفار وشقاقهم، وتقريعهم بإهلاك القرون
من قبلهم، وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم
مما أتى به، والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر، وما ظهر من
الحسد في كلامهم، وتعجيزهم، وتوهينهم، ووعيدهم بخزي
الدنيا والآخرة، وتكذيب الأمم قبلهم، وإهلاك الله لهم
ووعيد هؤلاء مثل مصابهم، وتصبير النبي عليه السلام
على أذاهم، وتسليته بكل ما تقدم ذكره، ثم أخذ في ذكر
داود وقصص الأنبياء، كل هذا في أوجز كلام وأحسن
نظام، ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى
وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل
في باب بلاغته فلا نحب أن نعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب

اكثرهذا

تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الأصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضا عن ابن مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا

فسألوا

بلغ مقابلة على أصل حسب الطاقة وصح

فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الأربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظا لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه

تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عن من لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ
ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على
قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد
ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم
وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد
دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية لا يعرفها
الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت
ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف
الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء
شيا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون
الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى
يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار
ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا
علم عند احد منها ○ وخرج الطحاوي في مشكل الحديث
عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي رضي الله عنه فلم
يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصليت العصر يا علي قال لا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد
عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعدما

ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء
في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات
○ وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن
سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات
النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته
عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا
متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس

فصل

في نبع الماء من بين اصابعه
وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم ○ اما الاحاديث في
هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر
وابن مسعود ○ حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه
رحمه الله بقراءتي عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو
القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا
يحيى ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن
انس بن مالك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه
فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله

صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان
يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ
الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ه ورواه ايضا عن
انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد
يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثماية وفي رواية عنه
وهم بالزوراء عند السوق ه ورواه ايضا حميد وثابت
والحسن عن انس ه وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال
ثمانين ه ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين
رجلا ه واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة
بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي
بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ه وفي الصحيح عن سالم
ابن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول
الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل
الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور
من بين اصابعه كامثال العيون ه وفيه فقلت كم
كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشرة ماية ه وروي
مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية
الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل

في ذكر

بلغ

في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة
في عزلاء شجب فاتي بها النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه
وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه
وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر
عليه وقال باسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس
بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة
وهي ملئى ه وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء
غير هذا فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها
في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن ثم يقومون
قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ه ومثل
هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق
التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه
لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا
يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه
ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس
عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار

العزلاء فم المزادة الاسفل والشجب القربة البالية ... بذلك لانها جلد ها قد شجب اي عطب ه

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشي من ما مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شي ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بما كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الما ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملي جنانا ﴿ وفي حديث البرا وسلمة ابن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مايه وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البرا واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم ﴿ وفي غير هاتين الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ما فروي الناس حتى ضربوا بعطن ﴿ وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا

وملؤا

وملؤا كل انا معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم مددا لاهل موتة عند ما بلغه قتل الامرا وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الما في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زها ثلثمايه ﴿ وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبا وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في انا من مزادتيها وقال فيه ما شا الله ان يقول ثم اعاد الما في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيا الا ملوه قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلا ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملا ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مايك شيا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة ابن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضو فجا رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مايه وفي حديث عمر في

جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل
لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي
صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى
قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز
العسكر ٥ وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب
بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا
الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام
ببركته ودعائه ٥ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله
ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم
بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن أعين ثنا معقل
عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل
منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم
ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله
عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير
جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها
ما شاء الله أن يقول وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه

وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق
وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن
برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك
رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن ٥ وعن ثابت
مثله عن رجل من الأنصار وامرأته ولم يسمهما قال
وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله وأكل من في البيت
والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى
الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في
الإناء وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار
فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل
ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج
منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من
طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن
ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع

من طعامٍ وصُنعت شاةٌ فشُوي سوادُ بطنها فقال وايمُ
الله ما من الثلاثين ومائةٍ إلا وقد حزّ له حُزّةً من سواد
بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في
القصعتين فحملته على البعير ۝ ومن ذلك حديث عبد
الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة
ابن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة
أصابت الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من
الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر
فجمعه على نطعٍ قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم
دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاءٌ إلا ملؤوه
وبقي منه ۝ وعن أبي هريرة قال أمرني النبي صلى الله
عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم
فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا
وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع ۝
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم
يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدًّا من طعام
فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعسٍّ فشربوا حتى
رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال أنس إن النبي صلى الله
عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قومًا سمّاهم

العُسّ الإناء الضيق

أقوامًا

وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدّم إليهم تورًا فيه
قدر مدٍّ من تمرٍ جعل حيسًا فوضعه قدامه وغمس ثلاث
أصابعه وجعل القوم يتغدّون ويخرجون وبقي التور
نحوًا مما كان وكان القوم أحدًا أو اثنين وسبعين وفي
رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم كانوا زهاء
ثلاثمائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري
حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت ۝ وفي حديث
جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضوان الله عليه أن فاطمة
طبخت قدرًا لغدائهما ووجهت عليًّا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة
صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر
وإنها لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله ۝ وأمر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أن يزوّد أربعمائة راكب من أحمس فقال
يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزوّدهم
منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله
من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من
رواية النعمان ابن مقرّن الخبر بعينه إلا أنه قال أربع
مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في
دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل
ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم
فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجدّها وجعلها

أصوع

الجدّ القطع ...

يبادر في أصولها فسقى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه
وفضل مثل ما كانوا يجدونه كل سنة وفي رواية مثل
ما أعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال
أبو هريرة أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال
فأتني به فأدخل يده صلى الله عليه وسلم فأخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا
ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ
ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت
على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهب
مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا
من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة
تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه أيضا حديث
أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه
وسلم فوجد لبنا في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو
أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب
منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي عليه السلام صلى الله
عليه وسلم له أن يسقيهم قال فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى
يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ
النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد

ح

فاشرب فشربت ثم قال اشرب فما زال يقولها وأشرب حتى
قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال فأخذ القدح
فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد
ابن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة
وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما
وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها
في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا
ذكر خبره الدولابي ومن حديث الآجري في إنكاح النبي
صلى الله عليه وسلم فاطمة لعلي عليه السلام أن النبي صلى الله
عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة ويذبح
جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل
الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها
فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن
من غشيكن وفي حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت
به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي
فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا لقيته إلا
دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة
والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة
عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام
فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى شبعوا

أبد الطعام إذا أعطى كل واحد نصيبه على حدة قاله في المحكم

لوليمتها ح

كلهم فقال لي إن رفع فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته

حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي قال ثنا أحمد بن عمران الأخنسي ثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي أدعها فإنها تجيبك قال فدعوتها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن بريدة سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها

وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الأعرابي ايذن لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى أسامة بن زيد نحوه

البعير المخشوش هو الذي يجعل في أنفه خشاش يعني الخاء وضعت عود يربط عليه حبل عند ليتقاد هـ

ل

قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل
تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي
ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى
نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل
للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت
النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن
فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن
الى مواضعهن ۞ وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم في مسير وذكر نحو اين هذين الحديثين وذكر
فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين ۞ وعن غيلان
بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين ۞ وعن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين ۞ وعن يعلى بن مرة
وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت
الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت
ان تسلم علي ۞ وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت
النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة ۞ وعن مجاهد
عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها

قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن
مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك
وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على
هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافا
فصارت في انتشارها من القوة حيث هي ۞ وذكر ابن فورك
انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن
فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت
على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ۞ ومن
ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه
حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة
فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع فعادت
الى مكانها ۞ وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال
اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر
مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه
الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه
وسلم اراه ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت ۞ وعن
الحسن انه صلى الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه وانهم
يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحي اليه ان

إيت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء
يخط الأرض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله
ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا مخافة
علي ۝ ونحوه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من
كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم
قال لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة
أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه
فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا
حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم أبي بن كعب ۝ وجابر بن عبد الله ۝ وأنس
بن مالك ۝ وعبد الله بن عمر ۝ وعبد الله بن عباس ۝ وسهل
ابن سعد ۝ وأبو سعيد الخدري ۝ وبريدة ۝ وأم سلمة ۝ والمطلب
بن أبي وداعة ۝ كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا
على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب
يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع
صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد
بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي
رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه

وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله
عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي
نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث
المطلب وسهل بن سعد وإسحق عن أنس ۝ وفي بعض
الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو جعل في السقف
وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم
صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن
أكلته الأرض وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض
فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة
فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك
إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك
في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي
صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في
الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى
فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء ۝ فكان
الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة

غير الرواية

نحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لما
فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه رواه عن جابر حفص
بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو
نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب
وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن
وثابت وإسحاق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع
وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد
وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس
بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد
عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن
أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل رحمه الله فهذا حديث
كما تراه خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا
وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره وبمن
دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله
المثبت على الصواب

فصل

ومثل هذا في
سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
ثنا القاضي أبو عبد الله محمد ابن المرابط ثنا المهلب ثنا أبو القاسم
ثنا أبو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا
البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا إسرائيل
عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية

عن

بلغ مقابلة على أصل المنقول منه حسب الطاقة [illegible]

عن ابن مسعود قال كنا نأكل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ
النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى
مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال
علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى
بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه
وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر
الأسود وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا
قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله قال
لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له
وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره
إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت
آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض
النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن أنس

[illegible] في الشفاء وذكر في [illegible] الحجر الأسود كان ياقوتة بيضاء من الجنة [illegible] فاسودت [illegible] آدم [illegible]

الأسكفة والأسكوفة عتبة الباب

صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان
أحدا فرجف بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اثبت
أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن
أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير
وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر أيضا في
حراء عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد
عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث
سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه ○
وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط
يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني
الله فقال حراء إلي يا رسول الله وروى ابن عمر أن
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق
قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا
الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه ○
وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثمائة
صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب
في يده إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع
لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود

وقال

وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره
إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج
وجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين
فقال له أشياخ من قريش ما علمك قال إنه لم يبق شجر
ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا تسجد إلا لنبي وذكر القصة
ثم قال وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله
فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس
مال الفيء إليه

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

○ حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ ثنا أبي ثنا القاضي
يونس ثنا أبو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه
وجده قالا ثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا
يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت
كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء
أعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات
والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجا

يتخللهم

بلغ

بلسانٍ مبينٍ يسمعه القوم جميعاً ليبشرك ويسددك يا زبن من
وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي
الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار
عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين
وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي ه
ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد
الخدري بينا راعٍ يرعى غنماً له عرض الذئب لشاة منها
فأخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي
الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من
ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب
من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء
ما قد سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث
فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن أبي
هريرة وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت
أعجب واقفاً على غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله نبياً قط
أعظم منه عنده قدراً قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها
على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب
فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب
أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر
قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال

له النبي

له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها
فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها ه وعن أهبان
بن أوس وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم
الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب هذه
القصة أيضاً وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد وقد روى
ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان
بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبياً فدخل الظبي الحرم فانصرف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن
عبد الله بالمدينة تدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال
أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها
خلوفاً ه وقد روي مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل
وأصحابه ه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام
ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله
عليه وسلم فإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار
ولا تعجب من نفسك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى
الإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه وعن جابر بن
عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به
وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم
فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فإن
الله تعالى سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل
فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس دخل

الحلوف الذي رصد رجالة
وبغي شانئه

النبي عليه السلام حائطا لأنصاري وأبو بكر وعمر ورجل
من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر
نحن أحق بالسجود لك منها الحديث ۝ وعن أبي هريرة
قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد
له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر
ابن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان
لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه
النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض
وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شيء
إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس ومثله عن
عبد الله بن أبي أوفى ۝ وفي حديث آخر في حديث الجمل
أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه
أنهم أرادوا ذبحه ۝ وفي رواية أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لهم إنه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية
أنه شكى إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في
شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة
العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعرفها له
بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحش عنها
وندائهم لها إنك لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته
حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن
حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها

بالبركة

بالبركة ۝ وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة
أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله تعالى شجرة
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين
فوقفتا بفم الغار ۝ وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت
على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه
أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي عليه السلام يسمع كلامهم
فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى النبي صلى الله عليه
وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم
في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت
صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني
حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم
فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال
يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت
تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول
الله ۝ ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن
فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه
مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به
فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على
الطريق وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن شاة
لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعده وما روي
عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه
بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله
عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب
عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه
وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث
الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها
أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا
على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع أملكها وما
أراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها
هو الذي ذهب بها وقال عليه السلام لفرسه وقد قام
إلى الصلاة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ
من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا منه حتى صلى صلى الله
عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم

واحد

واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين
بعثه إليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه
بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الأئمة

فصل

في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم
له بالنبوة صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد
الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي
أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا
ثنا أبو علي الحافظ ثنا أبو عمر الحافظ ثنا أبو زيد عبد الرحمن
بن يحيى ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن الأعرابي ثنا أبو داود ثنا
وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن
أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي صلى الله
عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني
أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك
على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت
وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت وقد
روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك
فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا
وكذلك عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض
لها ورواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه
الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن أن فخذها

مصلية أي مشوية

تكلمني أنها مسمومة ۝ وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن
قالت إني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن إسحق وقال فيه فتجاوز
عنها ۝ وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها
في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي حديث أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات
فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان قطعت أبهري
۝ وحكى ابن إسحق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة
۝ وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته ۝ وقد ذكرنا
اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر
وفي رواية عن ابن عباس أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء
فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره قال
الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروي عنه أنه قتله
۝ وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه
قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله
فلم تضر أحدا منا قال القاضي رضي الله عنه وقد خرج حديث
الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة وهو حديث
مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول
هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجرة
وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير

أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي
أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها
أولا ثم الكلام بعده وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن
وكل محتمل والله أعلم إذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف
والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها
فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة
لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين
سائر متكلمي الفرق في إحالة وجود الكلام اللفظي والحروف
والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق
بالحروف والأصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع
والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا
وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم
به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من
أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه
مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله ۝ وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي
بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله
۝ وروي عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله
عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث
مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك

ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال كنت فيمن دفن ثابت ابن قيس ابن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت ه وذكر عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر

بلغ

أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات

أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره ثنا أبو إسحق الحبال ثنا أبو محمد ابن النحاس ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد بطولها قال وقالوا قال سعد بن أبي وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد ابن عياض بن عمر بن قتادة ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح ه وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري فقال له انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قال اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم

لعله ثم قل

شفعه في. قال فرجع وقد كشف الله عن بصره. وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفى فشربها فشفاه الله. وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين. ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ. وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد. وتفل في عيني علي بن أبي طالب رضوان الله عليه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا. ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرأت. وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرأت. وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه. واشتكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد. وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت. رواه ابن وهب. ومن روايته أيضا أن خبيب

بن إساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح. وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس. وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي. وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه. وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر. وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها.

فصل في إجابة دعائه عليه السلام

وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة. وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا

أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد
ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن إسمعيل ثنا عبد الله بن أبي الأسود ثنا حرمي
ثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله
خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك
له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله إن مالي
لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو
المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش
ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين من ولدي مائة
لا أقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن
بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت
أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب
من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة
ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن
لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى بخمسين
ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق
يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير
وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها
وأحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة
ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على
أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل

فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم
عمر وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر
الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا
في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال
لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره
فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال
للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية
فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له
أخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل أكثر من هذا
ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن
جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه
ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال
ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة
فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديثه
فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة
أيضا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها
عليه ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت ودعا لعلي بن أبي
طالب أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف
وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا
لفاطمة ابنته أن لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله

الطفيل بن عمرو وآية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور
بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول
إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور
ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم
فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق
ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار
الدنيا ۝ ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله
أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك
فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه
۝ وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من
كلابك فأكله الأسد وقال لامرأة أكلك الأسد فأكلها
وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه
على قريش حين وضعوا السلى على رقبته وهو ساجد
مع الفرث والدم وسماهم فقال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر
۝ ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند
النبي صلى الله عليه وسلم أي فرآه فقال كذلك كن فلم يزل
يختلج إلى أن مات ۝ ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع
فلفظته الأرض ثم وري فلفظته مرات فألقوه بين
صدين ورضموا عليه بالحجارة والصدان جانب الوادي و
جحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله
عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل

وقال اللهم إن كانت كاذبة فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية
برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان

له فيما لمسه أو باشره عليه السلام ۝ أخبرنا أحمد بن محمد
ثنا أبو ذر الهروي إجازة ح وحدثنا القاضي أبو علي سماعا
والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا
ثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحق
وأبو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد
ابن زريع ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن
أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال
غيره بطيئا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان
بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى
كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل
الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها
نشاطا وباع من بطنها باثني عشر ألفا ۝ وركب حمارا قطوفا
لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير ۝ وكانت شعرات
من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا
إلا رزق النصر ۝ وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها
أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها ۝ وحدثنا

القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال كانت
عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل
فيها الماء للمرضى فيستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري
القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس
به فأخذته الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبصق في بئر
كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء
فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو
نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي بدلو من ماء زمزم فمج
فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه
وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لأم مالك عكة تهدي
فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها صلى الله عليه وسلم
أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا فيأتيها
بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد
فيها سمنا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه
الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده
فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب
فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت
كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت
وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله

بلغ مقابلا على أصل المنقول منه حسب الطاقة فصح

صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل
بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن
منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها
فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها
إذا ظمئت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء
في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء
لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان
فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد
فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب
وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به
ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في
قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه
لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب
نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته صلى الله عليه وسلم
في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد
وأعنز معاوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته
وشارف فيها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها

فحلب وشاة المقداد ۝ ومن ذلك تزويده أصحابه
سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة
نزلوا فحلّوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية
حماد بن سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد وبرّك فمات
وهو ابن ثمانين فما شاب ۝ وروي مثل هذه القصص عن
غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم
عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له
فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن
زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه أبيض
وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من
شعره أسود فكان يدعى الأغر ۝ وروي مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه
نور ۝ ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى
كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس
حنظلة بن حذيم وبرّك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ۝ ونضح في
وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه
امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ

واستوى

واستوى شعره ۝ وروي مثله في خبر المطلب بن قتادة
وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤوا وأتاه
رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مجّ فيها ففعل
فبرأ وعن طاووس قال لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
بأحد به مسّ فصكّ في صدره إلا ذهب ۝ والمسّ الجنون
ومجّ في دلو من بئر ثم صبّ فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ
قبضة من تراب يوم حنين فرمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم
۝ وشكى إليه أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما
يروى عنه في هذا كثير ۝ وضرب صدر جرير بن عبد
الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من
أفرس العرب وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن
الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع
الرجال طولا وتماما ۝ **فصل** ومن ذلك ما اطلع
عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر
لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة
رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على
غيره قال أبو بكر ثنا أبو علي التستري ثنا أبو عمر الهاشمي

الأدرة عظم الأنثيين

قال ثنا اللؤلؤي ثنا أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا
جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون
في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء
فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه
ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم
تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد
فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا إلا
قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته ه وقال أبو ذر لقد
تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه
في السماء إلا ذكرنا منه علما ه وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما
أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور
على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف
إلا الله وأن المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه وما يفتح الله عز وجل على أمته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من
الفتون والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم
وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة
وأنهم ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في

أخرى

أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون
بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وأنتم اليوم
خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات
فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على
خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب
قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات قرون
إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج ه
وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وإنه زويت له
الأرض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته
ما زوي له منها فكذلك كانت امتدت في المشارق والمغارب
ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث
لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم
تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا
يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب لأنهم المختصون
بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل
المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي
حديث آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي
ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم

المغرب صح

كذلك قبل برسول الله وأين هو قال ببيت المقدس
۞ وأخبر بملك بني أمية وولاية معوية ووصاه وإتخاذ
بني أمية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات
السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي
وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل
علي وأن أشقاها الذي تخضب هذه من هذه أي
لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياؤه
الجنة وأعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة
وطائفة ممن تنسب إليه من الروافض كفروه ۞ وقال
يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وأن الله عسى أن
يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه
على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وأن الفتن لا تظهر
ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي ونباح كلاب
الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثير
وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة رضوان الله عليها
عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا تقتله الفئة الباغية
فقتله أصحاب معوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس
منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد أبلى
مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة
فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا
في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا

هرم

هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها ۞ وقال
في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فإني رأيت الملائكة
تغسله فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل
۞ قال أبو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء ۞ وقال الخلافة
في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين ۞
وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج
والمختار وأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله
لحوقا به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة
ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن ابن علي ۞ وقال إن
هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون
ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الأمة
وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة
عن وقتها وسيكون في أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة
وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك أن يكثر فيكم العجم
يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق
الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا
يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون
وقال لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه ۞ وقال هلاك
أمتي على أيدي أغيلمة من قريش قال أبو هريرة راويه لو

شبهت سحنتهم لكم بنو فلان وبنو فلان، وأخبر بظهور القدرية
والرافضة، وسب آخر هذه الأمة أولها، وقلة الأنصار حتى
يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق
لهم جماعة، وأنهم سيلقون بعده أثرة، وأخبر بشأن الخوارج
وصفتهم، والمخدج الذي فيهم، وأن سيماهم التحليق، ويرى
رعاء الغنم رؤوس الناس، والعراة الحفاة يتبارون في البنيان
وأن تلد الأمة ربتها، وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه
أبدا، وأنه هو يغزوهم، وأخبر بالموتان الذي يكون بعد
فتح بيت المقدس، وما وعد من سكنى البصرة، وأنهم يغزون
في البحر كالملوك على الأسرة، وأن الدين لو كان منوطا
بالثريا لناله رجال من أبناء فارس، وهاجت ريح في غزاته
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا وجدوا ذلك،
وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد
قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل
فقتل مرتدا يوم اليمامة، وأعلم بالذي غل خرزا من خرز
يهود فوجدت في رحله، وبالذي غل الشملة، وحيث هي
ناقته حين ضلت، وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها، وبشأن
كتاب حاطب إلى أهل مكة، وبقضية عمير مع صفوان حين ساره
وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير
النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم، وأخبر بالمال الذي تركه عمه

العباس

العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها فأسلم، وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة
ابن أبي لهب أنه يأكله كلب الله، وعن مصارع أهل بدر فكان كما
قال، وقال في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين
فئتين، ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر
بك آخرون، وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة
شهر أو أزيد، وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه، وأخبر
فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك
اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم، وأخبر أبا ذر بتطريده كما
كان، ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت
منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث
وبعيشه وحده وموته وحده، وأخبر أن أسرع أزواجه
به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة، وأخبر بقتل
الحسين بالطف، وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه، وقال
في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في
الجهاد، وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك
نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وطعن سعد، وقال لسراقة كيف بك إذا ألبست سواري كسرى
فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
وألبسهما سراقة، وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد

وقال: سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه. وقال: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة. وقال لعمر في سهيل بن عمرو: عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر، فكان كذلك، قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم. وقال لخالد حين وجهه لأكيدر: إنك تجده يصيد البقر. فوجدت هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم، إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم، واطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين، حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه: اسكت، فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء. وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم، وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر، وأنه ألقي في بئر ذروان، فكان كما قال، ووجد على تلك الصفة. وإعلامه قريشاً بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم، وأنها أبقت فيها كل اسم لله تعالى، فوجدوها كما قال. ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء، ونعته إياه نعت من عرفه، وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه، وإنذارهم بوقت وصولها، فكان كله كما قال. إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد، ومنها ما ظهرت مقدماتها، كقوله: عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة،

وخروج الملحمة فتح القسطنطينية. ومن أشراط الساعة وآيات حلولها، وذكر النشر والحشر، وأخبار الأبرار والفجار، والجنة والنار، وعرصات القيامة. وبحسب هذا الفصل أن يكون ديواناً مفرداً يشتمل على أجزاء وحده، وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية، وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة.

فصل في عصمة الله تعالى له عليه السلام من الناس

وكفايته من آذاه. قال الله تعالى: والله يعصمك من الناس. وقال تعالى: واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا. وقال تعالى: أليس الله بكاف عبده، قيل بكاف محمداً أعداءه المشركين، وقيل غير هذا. وقال تعالى: إنا كفيناك المستهزئين. وقال تعالى: وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية. أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي قراءتي عليه، والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، قالا: ثنا أبو الحسين الصيرفي، ثنا أبو يعلى البغدادي، ثنا أبو علي السنجي، ثنا أبو العباس المروزي، ثنا أبو عيسى الحافظ، ثنا عبد بن حميد، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا الحارث بن عبيد، عن سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية: والله يعصمك من الناس، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني ربي عز وجل. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا

نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني يا محمد فقال الله فأرعد
يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال
دماغه فنزلت هذه الآية ۝ وقد رويت هذه القصة في الصحيح
وأن غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه
وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس
۝ وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد
انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر
مثله ۝ وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي
أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وأن الرجل أسلم فلما
رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له
أين ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض
طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت
أنه ملك وأسلمت قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف
أيديهم عنكم الآية وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحرث
المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به
إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه
بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر
سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا
وذكر أن فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

إذ هم قوم الآية ۝ وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف
قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي
جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها
كثيبا أهيل وذكر ابن إسحق عنها أنها لما بلغها نزول تبت
يدا أبي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم
أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما
لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم
فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو
وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ۝ وعن الحكم بن أبي العاص
تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا
صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا
فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة
أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا
وبينه ۝ وعن عمر رضي الله عنه تواعدت أنا وأبو جهم بن
حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله
فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة إلى قوله تعالى فهل ترى
لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا
هاربين فكانت من مقدمات إسلام عمر ومنه العبرة المشهورة
والكفاية التامة عند ما أخافته قريش وأجمعت على قتله وبيتوه

فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله تعالى
على أبصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن
رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي
نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما
أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد
محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه
أحد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك ابن
جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل
فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم
بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت وقال للنبي صلى
الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية
إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه
ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى
الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا
لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر
آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد
مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى

رجع

رجع إلى موضعه ۝ وجاءه فيما ذكر ابن إسحق وغيره أبو جهل
بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت
بيده ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه
ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد
مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر
أنه عرض له دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لأخذه وذكر
السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه
وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم
وسمع قوله فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه ۝ وذكر
أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين
۝ ومن ذلك ما ذكره ابن إسحق في قصته إذ خرج إلى بني
قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث
عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله
عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني
النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو
ابن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى
نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم
مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل

النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى
دخل المدينة وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث عن أبي
هريرة أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن
رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما
قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل
فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت
أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت
الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة
لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه
وسلم كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر السورة ه ويروى
أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة
قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد فلما
اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما
دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق
فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني
فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا
وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه
أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت
به دونه ه وعن فضالة بن عمير قال أردت قتل النبي صلى الله
عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة
قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر

لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما
خلق الله شيئا أحب إلي منه ه ومن مشهور ذلك خبر عامر
ابن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله
عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه
أنت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت
أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ه ومن عصمته
له عز وجل أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه
لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه
الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ه ومن ذلك نصرته بالرعب
أمامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم

فصل

ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من المعارف
والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين
ومعرفته من أمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده
ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه
وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد أنبائهم
وأيام الله عز وجل فيهم وصفات أعيانهم واختلاف
آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من
الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ومخبآت
علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء

بلغ

بأمور ح

على لغات العرب وغريب ألفاظها والإحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة
والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل
إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل
مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم
شيئا إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية
به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه دون طلب
إقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم
عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم
من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا
إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب
والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك
من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه
وسلم فيها قدوة وأصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه
وسلم الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر وقوله
الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه
ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله إذا تقارب الزمان لم
تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله أصل كل داء البردة
وما روي عنه في حديث أبي هريرة من قوله المعدة حوض

البدن والعروق إليها واردة وإن كان هذا حديثا لا نصححه
لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله صلى الله
عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي
وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين
وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله ما ملأ ابن آدم
وعاء شرا من بطن إلى قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ أرجل
هو أو امرأة أو أرض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم
ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في
نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها
وهمدان غاربها وذروتها وقوله إن الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وقوله في الحوض
زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر
فتلك مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في
الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله
ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة أو الأقرع أنا
أفرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه
أذكر للممل هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه
أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط

وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي
يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه عليه السلام
فقال له ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وإن لم تصح الرواية أنه عليه السلام كتب فلا يبعد
أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة ه وأما علمه صلى الله
عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور
قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من
لغات الأمم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة
بالحبشية وكقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث
أبي هريرة إشكنب درد أي وجع البطن بالفارسية إلى
غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من
مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره
وهو رجل كما قال الله تعالى أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا
عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم
ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء
منها ه قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب
وأخبار أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم
بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه

بلغ مقابلة على أصل صاحب
الطائفة رضي الله [illegible] بنفسه

وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع
ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد
الله تعالى قولهم بقوله تعالى لسان الذي يلحدون إليه أعجمي
وهذا لسان عربي مبين ه ثم ما قالوه مكابرة العيان
فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان
إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور
ما لا ينعد من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان
يقرأ على النبي عليه السلام واختلف في اسمه وقيل بل
كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة
وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن
قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن
فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن
نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر
أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونه مدة
أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء
به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده
ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ
عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته
كفعل النضر بن الحارث بما كان يخرف به من أخبار كتبه

ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثر اختلافه
إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين
أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج
عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة
يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة
قومه ورفاقه عشيرته لم يغب عنهم ولا خالفهم حاله مدة مقامه
بمكة من تعلم واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو
كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به من معجز القرآن قاطعا
لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل أمر

فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم
وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله
تعالى له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه
لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل
الآية وقال تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم
فثبتوا الذين آمنوا وقال تعالى إذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال تعالى وإذ صرفنا
إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا
سفيان بن العاصي الفقيه سماعا عليه ثنا أبو الليث السمرقندي
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا شعبة عن سليمان
الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله لقد رأى من آيات

ونشأته

عذر

بلغ

ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح
والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم
من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم
ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه
في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل في صورة رجل
يسأله عن الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة
وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية ورأى سعد على
يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب
بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة
خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار
ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ
رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها
شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى
النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا
مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع
كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب
بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر
غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ

ح

لعله وغيرهما

به

قبلك

نشبح بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه
وقال نغمة الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس
بن ابليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث
طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من
القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى
للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى
وقال صلى الله عليه وسلم إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع
علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه
إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم
فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
الآية فرده الله عز وجل خاسئا وهذا باب واسع

فصل

ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته
ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء
أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار
الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة
وكعب بن لؤي وسفيان ابن مجاشع وقس ابن ساعدة
وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف
به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب

تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم
مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب
وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور
الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود
وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف
نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد
اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه
وابن صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب ابن أسد
والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد
والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر
وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من
صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك
صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم
ببيان أمره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم إلا
من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره
ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل
النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال
لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما أنذر به
الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب

وخنافر، وأفعى نجران، وجذل ابن جذل الكندي، وابن
خلصة الدوسي، وسعدى بنت كريز، وفاطمة بنت
النعمان، ومن لا يبعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام
من نبوته وحلول وقت رسالته، وسمع من هواتف الجان
ومن ذبائح النصب، وأجواف الصور، وما وجد من
اسم النبي صلى الله عليه وسلم، والشهادة له بالرسالة مكتوبا
في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام
من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل

ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده، وما حكته أمه
ومن حضره من العجائب، وكونه رافعا رأسه عندما وضعته
شاخصا ببصره إلى السماء، وما رأته من النور الذي خرج
معه عند ولادته، وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي
العاص من تدلي النجوم، وظهور النور عند ولادته حتى
ما تنظر إلا النور، وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف
لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول
رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
إلى قصور الروم، وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من
بركته، ودرور لبنها له، ولبن شارفها، وخصب غنمها
وسرعة شبابه، وحسن نشأته، وما جرى من العجائب
ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط شرفاته
وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس، وكان لها ألف

عام لم تخمد، وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله
وهو صغير شبعوا ورووا، وإذا غاب فأكلوا في غيبته
لم يشبعوا، وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح
صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا، قالت أم أيمن حاضنته
ما رأيته صلى الله عليه وسلم شكا جوعا ولا عطشا صغيرا
ولا كبيرا، ومن ذلك حراسة السماء بالشهب، وقطع رصد
الشياطين، ومنعهم استراق السمع، وما نشأ عليه من بغض
الأصنام، والعفة عن أمور الجاهلية، وما خصه الله عز وجل
به من ذلك، وحماه حتى في ستره، في الخبر المشهور
عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه
الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال
له عمه ما بالك فقال إني نهيت عن التعري، ومن ذلك إظلال
الله عز وجل له بالغمام في سفره، وفي رواية أن خديجة
ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره،
وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي
ذلك عن أخيه من الرضاعة، ومن ذلك أنه نزل في
بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها وأينعت هي فأشرقت وتدلت عليه أغصانها
بمحضر من رآه، وميل فيء الشجرة إليه في الخبر الآخر
حتى أظلته، وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه في شمس

ولا قمل لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على
جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى
أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره
في المدينة وفي بيته وأن بين بيته وبين منبره روضة
من رياض الجنة وتخيير الله تعالى له عند موته وما
اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة
الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان
ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداء
وندائهم الذي سمعوه ألا تنزعوا القميص عنه عند غسله
وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند
موته إلى ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركته في
حياته وموته كاستسقاء عمر رضي الله عنه بعمه العباس
وتبرك غير واحد بذريته صلى الله عليه وسلم ◦

فصل ◦ قال القاضي أبو الفضل رضي
الله عنه قد أتيناكم في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية
والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من
الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ◦
ومن كثير من الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر
إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا
الإسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب
لو تقصى أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة
ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من معجزات الرسل
بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند
نبينا عليه السلام مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس
على ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات
من تقدم من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله تعالى
وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز
فيه عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك الكوثر
أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف
كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة
وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله
تعالى فأتوا بسورة مثله فهو أقل ما تحداهم به مع ما ينصر
هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف
على عدد بعضهم وعدد كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر
كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر
أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه
ثم إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق
نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف
العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة

الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف
العدد كرة أخرى ثم وجوه الاعجاز الأخر التي ذكرناها
توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد
معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة
والأخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه
الأبواب وعن ما دل على أمره مما أشرنا إلى جملة يبلغ
نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه
وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم
وبحسب الفن الذي سمى فيه قرنه فلما كان زمن موسى
عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث إليهم موسى بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق
عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك
زمن عيسى عليه السلام أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان
أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه
من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة
ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء عليهم السلام ثم إن
الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف
العرب وعلومها أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة
فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من
الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن
النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم

الموتى

الى

إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار
عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد
على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه
وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق
مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب
ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة
وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما
يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطنا
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه
الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات
القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي
لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه
إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا
يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره
على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس
الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس
أشد طمأنينة على عين اليقين منها إلى علم اليقين
وإن كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل
انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد
ولا تضمحل ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا

ها

القاضي الشهيد أبو علي ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو
محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري
ثنا عبد العزيز بن عبد الله قال ثنا الليث عن سعيد عن أبيه
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء
نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما
كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله تعالى إلي فأرجو
أني أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند
بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله تعالى وذهب
غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها
بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه
والتشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون
لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر
في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر
من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون
شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل
الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض
الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث على مذهب من
قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر

فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم
عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك
العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم
ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال
وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله
والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من
جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني
وغيره قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال
البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد
يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص
صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم
إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق
المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله
فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها إلا منع الله عز وجل الخلق عنها بمثابة ما لو
قال نبي آيتي أن يمنع الله عز وجل القيام عن الناس مع
مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجز
الله تعالى عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر

صح

هم

دلالة وبالله التوفيق ۞ وقد غاب عن بعض العلماء وجه
ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر
عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور
عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من
ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل
وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة
وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم
وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم
وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة
البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع
هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم
يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى
بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف
بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم
من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم
بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
عز وجل فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول
وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا
الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا
آباءهم وأبناءهم في نصرته ۞ وأتى في معنى هذا بما يلوح

له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق لكنا قدمنا
من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني
عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين

۞ القسم الثاني

فيما يجب على الأنام من
حقوقه صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه
أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته
ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم
وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته عليه
السلام إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته
وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله تعالى
فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال تعالى
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية
فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا
يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى ومن
لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا ۞
حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الإمام أبو
علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه
قال ثنا ابن سفيان ثنا أبو الحسين ثنا أمية بن بسطام

بلغ

ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ۞ قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله عز وجل له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ۞ وقد زاده وضوحا في حديث جبريل إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث ۞ فقد قرر أن الإيمان به عليه السلام محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة ۞ وأما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون

بنبوته

قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم وحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين هاذين إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف

والفرق

فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا إن شاء الله تعالى

فصل

وأما وجوب طاعته فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال تعالى قل أطيعوا الله والرسول وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى وإن تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول الآية وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل سبحانه طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون

في النار

فيها

والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما أرسل الله عز وجل من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة ٥ حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن أحمد ثنا محمد بن يوسف البخاري ثنا عبدان أنا عبد الله أنا يونس عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ٥ وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه

حدثنا

صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا
ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد
أبى ۞ وفي الحديث الآخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل ما بعثني الله به تعالى كمثل رجل أتى قوما
فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان
فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت
به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق ۞ وفي
الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة
وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة
فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا
صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس

فصل

وأما وجوب
اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل
إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
۞ وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن
بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم إلى قوله تسليما
أي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد

وقال تعالى

بلغ مقابلة على أصل منه فصح

وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر الآية ۞ وقال محمد بن علي الترمذي
الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته
في قول أو فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو
عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين
أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة فأمرهم تعالى بذلك ووعد
الاهتداء باتباعه لأن الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق
ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم
ووعدهم محبته في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه
على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم وأن صحة إيمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن أن
أقواما قالوا يا رسول الله إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وروي أن الآية
نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا نحن أبناء
الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله فأنزل الله تعالى الآية
۞ وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله أن تقصدوا
طاعته فافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم
وإنعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله تعالى عصمة
وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل ۞

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

بن عبد الله

العبد

لو كان حبك صادقا لأطعته ۞ إن المحب لمن يحب مطيع ۞
وينال محبة العبد لله تعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة
الله له رحمته له وإرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه
وثنائه عليه قال القشيري فإذا كان بمعنى الرحمة
والإرادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد
في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا أبو
إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه ثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل
وحدثنا أبو الحسن يونس بن مغيث الفقيه قراءة عليه
قالا حدثنا حاتم بن محمد ثنا أبو حفص الجهني ثنا أبو بكر
الآجري ثنا إبراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود
بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن
خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو والأسلمي
وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه
في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة
في النار ۞ وفي حديث أبي رافع عنه صلى الله عليه وسلم
لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري
مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا
في كتاب الله عز وجل اتبعناه ۞ وفي حديث عائشة رضي

الجوزي

الله

الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص
فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله تعالى ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن
الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية
وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي
ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد
رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
الآية وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني
ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحسن الحديث كتاب
الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها ۞
وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة
قائمة أو فريضة عادلة ۞ وعن الحسن بن أبي الحسن قال عليه
السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
۞ وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يدخل العبد
الجنة بالسنة يتمسك بها وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة

مستصعب بكسر العين من قولهم استصعب عليه الأمر

شهيد. وقال عليه السلام إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين
وسبعين ملة وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها
في النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه
اليوم وأصحابي. وعن أنس قال عليه السلام من أحيا سنتي
فقد أحياني ومن أحياني كان معي. وعن عمرو بن عوف المزني
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من أحيا سنة
من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها
من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا
ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك
من أوزار الناس شيئا.

فصل

وأما ما ورد
عن السلف والأئمة رضوان الله عليهم من اتباع سنته والاقتداء
بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد
الرحمن بن أبي تليد الفقيه سماعا عليه ثنا أبو عمر الحافظ
ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا
ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب
عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر
فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر
في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن أخي إن
الله تعالى بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا
فإنما نفعل كما رأيناه يفعل. وقال عمر بن عبد العزيز سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ

فرقة

بلغ

بها

بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على
دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي
من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى
وأصلاه جهنم وساءت مصيرا. وقال الحسن بن أبي الحسن
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة. وقال ابن
شهاب بلغنا عن رجال من أهل العلم أنهم قالوا الاعتصام
بالسنة نجاة. وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض
واللحن أي اللغة. وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن
فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز
وجل. وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال
أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع. وعن
علي عليه السلام حين قرن فقال له عثمان ترى أني أنهى
الناس عنه وتفعله قال لم أكن أدع سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقول أحد من الناس. وعنه ألا إني لست
بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم ما استطعت. وكان ابن مسعود يقول القصد
في السنة خير من الاجتهاد في البدعة. وقال ابن عمر
صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر. وقال
أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله تعالى ففاضت عيناه

بتعليم

ب

في نفسه

من خشية ربه فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله تعالى في نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله تعالى إلا كان مثله كمثل شجرة قد
يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات
عنها ورقها إلا حط الله عز وجل عنه خطاياه كما تحات
عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في سبيل الله وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا أن يكون
عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج
الأنبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
إلى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة
أو يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب إليه
عمر رضي الله عنه خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة
فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله وعن عطاء في قوله
تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول
قال إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا اتباعها ۝ وقال عمر رضي الله عنه ونظر إلى
الحجر الأسود إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله
۝ ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل
فقال لا أدري إلا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فعله

فعله ففعلته ۝ وقال أبو عثمان الحيري من أمر السنة
على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى
على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري أصول
مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق
والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع
الأعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه
أنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي أن
أحمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا
الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك
الليلة قائلا يقول لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر
لك باستعمالك السنة وجعلك إماما يقتدى بك قلت
من أنت قال جبريل ۝ **فصل** ومخالفة
أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله
عز وجل عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم ۝ وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما
تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما
تولى الآية ۝ حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد
الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا ثنا أبو القاسم حاتم بن
محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ

ثنا أحمد بن أبي سليمان ثنا سحنون بن سعيد قال ثنا ابن القاسم
ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة
قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة
وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال
عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم
ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول
فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من أدخل
في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على
أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه
فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث
المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما
حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف
كفى بقوم حمقا أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير
نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام هلك المتنطعون
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى
إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ

الباب الثاني

في لزوم محبته قال الله تعالى قل إن
كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها
ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام إذ قرع الله تعالى
من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله
وأوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى يأتي الله بأمره
ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله
تعالى حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو
مما قرأته على غير واحد قال ثنا سراج بن عبد الله القاضي
ثنا أبو محمد الأصيلي ثنا المروزي ثنا أبو عبد الله محمد بن
يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا
ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب
إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن أبي هريرة نحوه
وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد
حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما
وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر
كما يكره أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب
إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من

نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب
إلي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في
ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب
إليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن علي بن خلف
ثنا أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل
ثنا عبدان ثنا أبي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي
الجعد عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت
لها من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله
قال أنت مع من أحببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا رسول الله ناولني
يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك
قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس
وعن أبي ذر بمعناه وعن علي رضوان الله عليه أن النبي
صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني

وأحب

وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم
القيامة وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني
لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت
موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت
مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى ومن
يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقا فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه
وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بأبي وأمي
أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله
فأنزل الله عز وجل الآية وفي حديث أنس من أحبني
كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف

والأئمة رضوان الله عليهم من محبتهم للنبي صلى الله عليه
وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد ثنا العذري
ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا
قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم
لو رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وقد تقدم

حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب
إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله ۞ وعن عمرو
بن العاص ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان
خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين
والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن
قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى
يغلبه النوم ۞ وروي عن أبي بكر رضوان الله عليه
أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق
لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني
أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر
لعينك ۞ ونحوه عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
قاله للعباس أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب
لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
ابن إسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها
يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله تعالى
كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل
مصيبة بعدك جلل وسئل علي ابن أبي طالب كيف
كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله

أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء
البارد على الظمإ وعن زيد بن أسلم قال خرج عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في
بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول ۞ على محمد صلاة
الأبرار ۞ صلى عليه الطيبون الأخيار ۞ قد كنت قواما
بكا بالأسحار ۞ يا ليت شعري والمنايا أطوار ۞ هل
تجمعني وحبيبي الدار ۞ تعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي أن عبد الله
بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك
يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال
نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبة
محمدا وحزبه ۞ ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله
عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته
لها فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك
بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا بمكانك تضرب عنقه
وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن
في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال
أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب
محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة
إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت

من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا
حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد
قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما
تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته

صلى الله عليه وسلم اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته
وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب
النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله
وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله
تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإيثار
ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته
قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم
يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة وإسخاط العباد في رضا الله عز وجل حدثنا
القاضي أبو علي الحافظ ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل
ابن خيرون قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن
عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد
بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى

الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في
قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من
سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي
في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله
ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج
عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده في
الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب
شيئا أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب
يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم
المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبة
محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار
قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن
علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار
الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال إسحاق التجيبي كان
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم
من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا
وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن
هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار

ح وحزبه

ح والانكسار

بلغ

وعاداه من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبّهم فمن أحبّ شيئًا
أحبّ من يحبّ وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين
اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحبّ من
يحبه وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحبّ الله
ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا فمن أحبهم فبحبي أحبهم
ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه
وقال في فاطمة عليها السلام إنها بضعة مني يغضبني
ما أغضبها وقال لعائشة رضي الله عنها في أسامة بن
زيد أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار
وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم فبالحقيقة من
أحبّ شيئًا أحبّ كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في
المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي صلى
الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب
الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن
عباس وابن جعفر رضوان الله عليهم أتوا سلمى وسألوها
أن تصنع لهم طعامًا مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة
إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها

بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة
من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف
شريعته قال الله تعالى لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء
أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم
وأبناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن
أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه ومنها أن يحب
القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به
واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضوان الله عليها
كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته وتفهمه والعمل
به ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل
ابن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة
حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم
وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة
حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا
وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادًا أو بلغة إلى
الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن
فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة
حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم
وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان صلى الله
عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا ومن علامة تمام محبته

زهد يتورعها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد
قال صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري إن الفقر
إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو
الجبل إلى أسفله ۝ وفي حديث عبد الله بن مغفل قال
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك
فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك ثلاث مرات
قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو
حديث أبي سعيد بمعناه ۝

فصل في معنى المحبة

للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها ۝ اختلف الناس في
تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت
عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف
مقال ولكنها اختلاف أحوال ۝ فقال سفيان المحبة اتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه التفت إلى قوله تعالى قل
إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية ۝ وقال
بعضهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب
عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته ۝ وقال بعضهم
المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر إيثار المحبوب وقال
بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة
مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره ۝ وقال
آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة
إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل

بلغ

إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه
بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة
والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل
إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف
والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن
طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى
يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما
يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام
النفوس أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه
له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها
فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه
صلى الله عليه وسلم فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه المعاني
الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة والظاهر وكمال
الأخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب
ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه على أمته
فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم وا
واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم
ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه
ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة

ويهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا وأعظم
خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم
منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان
ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى
الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم
عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم
السرمد فقد استبان لك أنه صلى الله عليه وسلم مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة
وجبلة بما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال
فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين
معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي
بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما
لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالمحبة وإذا كان يحب بالطبع
ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص
بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه
الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل
وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من رآه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض
الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا

بلغ مقابلة على أصل صاحب الطاقة فصح والله أعلم بغيبه

نصحوا

نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم قال أهل التفسير إذا نصحوا لله ورسوله
إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا
الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه قال ثنا حسين بن محمد قال
ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار
ثنا أبو داود ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن أبي
صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة
إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال أئمتنا رضي
الله عنهم النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم
واجبة قال الإمام أبو سليمان البستي النصيحة كلمة
يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة
الإخلاص من قولهم نصحت العسل إذا خلصته من
شمعه وقال أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف النصح فعل
الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح
وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال أبو إسحاق الزجاج
نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه
والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والإخلاص

٢

ح هو الخطابي

ج ح

في عبادته والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه
وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له
وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين
وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته
وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو سليمان
وقال أبو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا
وميتا وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها
والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال
أبو إبراهيم إسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها
والحض عليها والدعوة إلى الله تعالى وإلى كتابه وإلى
رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد من
مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أبو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي
نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح
أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه
والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه
كما قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية
وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الآية وأما
نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال
وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته

ومحبة

ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته
وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته
والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات
المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الإمام أبو
القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له
ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة
جبل يوما فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت
أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته
فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما النصح لأئمة المسلمين
فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم
إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم
عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب
الناس وإفساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين
إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد
محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم
وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره
وبره عليه السلام قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك

والنصيحه

شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه ۝ وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله ۝ وقال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات ۝ وقال لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ۝ فأوجب تعالى
تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه، قال ابن عباس
تعزروه تجلوه، وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه
وقال الأخفش تنصرونه، وقال الطبري تعينونه ۝ وقرئ
تعززوه من العز ۝ ونهى عن التقدم بين يديه
بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره
وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن
يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل
بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال
أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به إلى هذا يرجع
قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ۝ ثم
وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال سبحانه واتقوا الله إن
الله سميع عليم، قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي
اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم
عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له
بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم
بعضاً باسمه ۝ قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له

بالخطاب

بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه
ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضاً على أحد التأويلين قال غيره لا تخاطبوه إلا
مستفهمين ۝ ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا
ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم
أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا فذمهم
الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت
الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى
ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب
النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم
فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن
يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد
خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير
الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً
وتقتل شهيداً وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة ۝ وروي أن
أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا
رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا
حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين

يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم، وقيل نزلت إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان
بن عسال قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه
أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد فقلنا له اغضض من
صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا
له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم
لا يرعونه إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل
كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة
فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم
في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا

فصل

في عادة الصحابة رضوان الله عليهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم
وتوقيره وإجلاله حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر
الأسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا حدثنا أحمد بن عمر قال
ثنا أحمد بن الحسن قال ثنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن سفيان
قال ثنا مسلم ثنا محمد بن مثنى وأبو معن الرقاشي وإسحق بن
منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد قال أخبرنا حيوة بن شريح
قال حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا
عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان

أحد

أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني
منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن
أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي
عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه
من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع
أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر
إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما وروى أسامة بن شريك قال
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير
وفي حديث صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير
وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا
يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا
ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم
ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره
وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما
له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني جئت كسرى
في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت
ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه وفي رواية إن رأيت
ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت قوما
لا يسلمونه أبدا وعن أنس رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون

قوله إن رأيت يعني ما رأيت

أن تقع شعرة إلا في يد رجل. ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان
في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في
القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى
الله عليه وسلم. وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه. وفي حديث
قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء
أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما. وفي حديث المغيرة
كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير. وقال
البراء بن عازب لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته.

فصل

واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه
وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته
وصحابته. قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره
أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ
في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب
بما أدبنا الله تعالى به. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة
سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم. حدثنا القاضي أبو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم

وغير واحد فيما أجازونيه قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر
بن دلهاث قال ثنا أبو الحسن علي بن فهر ثنا أبو بكر محمد بن
أحمد بن الفرج قال حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب قال
ثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر
أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد
فإن الله تعالى أدب قوما فقال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن الذين يغضون
أصواتهم عند رسول الله الآية وذم قوما فقال إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم
أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله
يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى
ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك الآية. وقال مالك وقد سئل
عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال
وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت
وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه. وقال مصعب بن
عبد الله كان مالك رضوان الله عليه إذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له

يوماً في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون
لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله
عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن
محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث
خصال إما مصلياً وإما صامتاً وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه
وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ۝ ولقد
كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى
لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير
فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه
دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنا الناس وأقربهم
فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته
۝ ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم
الناس عنه ويتركوه ۝ وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث
أخذه العويل والزويل ۝ ولما كثر على مالك الناس قيل له
لو جعلت مستملياً يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حياً وميتاً
سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبي وبين أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه
ما يجب له عند سماع قوله ۝

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو الفضل بن خيرون ثنا
أبو بكر البرقاني وغيره قالوا ثنا أبو الحسن الدارقطني ثنا علي
بن مبشر ثنا أحمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا
المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت
إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا أنه حدث يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن
جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا
أو ما قرب من ذا ۝ وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية
وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه ۝ وقال إبراهيم
بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن
أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعاً
أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنا قائم ۝ وقال مالك جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث
وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت أنك
لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا مضطجع ۝ وروي عن محمد بن سيرين أنه

قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب ابن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم أو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ه وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء وكان قتادة لا يحدث إلا على طهارة

ولا يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ه قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك رضي الله عنه إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ه وسأل جرير ابن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض قال القاضي أحق من أدب ه وذكر أن هشام ابن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا ه قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب أن لا تقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم ه

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية

وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم ۝ أخبرنا الشيخ أبو محمد ابن أحمد
العدل من كتابه وكتبت من أصله ثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني
قال حدثتني أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف قالت حدثني أبي
قال ثنا حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن إسمعيل ثنا يحيى
هو الحماني ثنا وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن
حيان عن زيد ابن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنشدكم الله وأهل بيتي ثلاثا قلنا ليزيد من أهل بيته
قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال
صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا
كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني
فيهما وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار
وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان
من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من
النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب
حقهم وحرمتهم بسببه ۝ وعن عمر بن أبي سلمة لما نزلت
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك في بيت
أم سلمة دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا
فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل
بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد ابن
أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم
عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهلي وقال

النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك إلا مؤمن ولا
يبغضك إلا منافق ۝ وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل
قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد
آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه ۝ وقال للعباس اغد علي يا عم
مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو أبي
وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت
أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين ۝ وكان يأخذ أسامة
بن زيد والحسن ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما وقال
أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته
وقال أيضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي ۝ وقال صلى الله عليه وسلم أحب
الله من أحب حسينا ۝ وقال من أحبني وأحب هذين وأشار
إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم
القيامة ۝ وقال صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله ۝
وقال قدموا قريشا ولا تقدموها ۝ وقال صلى الله عليه وسلم لأم
سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث قال
رأيت أبا بكر وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بأبي شبيه
بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي رضي الله عنه يضحك ۝ وروي
عن عبد الله بن حسن بن حسين قال أتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب

فإني أستحيي من الله تعالى أن يراك على بابي. وعن الشعبي
قال صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته
ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا
ورأى ابن عمر محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي
فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده
الأرض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه وقال
الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك
بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يديها بين يديه
ويداه في ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين
يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلثة آلاف ولأسامة ابن زيد
في ثلثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم فضلته
فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن زيدا كان أحب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وأسامة أحب إليه
منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي.
وبلغ معوية أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل
بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه

وسلم. وروي أن مالكا رضي الله عنه لما ضربه جعفر بن سليمان
ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال
أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت
أن أموت فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل
بعض آله النار بسببي. وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال
له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته
في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو بكر ابن
عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى
الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما. وقيل لابن عباس ماتت
فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد
هذه الساعة فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما يزوران
أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية
على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها
فلما توفي وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل

ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم
توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن
الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة

من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال
الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل
من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج
لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء
ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم
ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحابي
فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على
الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة وقال تعالى والسابقون
الأولون من المهاجرين والأنصار الآية وقال تعالى لقد رضي
الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي أبو علي ثنا
أبو الحسين وأبو الفضل قالا ثنا أبو يعلى ثنا أبو علي السنجي ثنا
محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن
عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش
عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال أصحابي كالنجوم بأيهم
اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به
وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد
آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن

يأخذه وقال لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا
ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقال من سب أصحابي فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال إذا
ذكر أصحابي فأمسكوا وقال في حديث جابر إن الله تبارك
وتعالى اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير وقال من أحب
عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني وقال مالك
ابن أنس وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين
حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال
من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار
وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق
وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أيوب السختياني
من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح
السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب
عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص
أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف
أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه
سليما وفي حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها

الناس إني راضٍ عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير
وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس
إن الله تعالى غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس احفظوني
في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها
مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران
أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس بأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه
وأمينه على وحي الله وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة
رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فأبغضه الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا
من محسنهم وقال احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من
حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه وعنه
صلى الله عليه وسلم قال من حفظني في أصحابي كنت له حافظا
يوم القيامة وقال من حفظني في أصحابي ورد علي
الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم
يرني إلا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه
وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله عز وجل به وجعله
رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك أمره الله تعالى وأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم

بلغ مقابلا على أصله حسب الطاقة

وروي

وروي عن كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
إلا له شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع
له يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن
بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره

فصل

ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه
وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما
لمسه عليه السلام أو عرف به وروي عن صفية بنت
نجدة قالت كان لأبي محذورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد
وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن
بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه
فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة
من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره
صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين
ورئي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رضي الله عنه
لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله تعالى أن أطأ
تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي أنه
وهب للشافعي رضي الله عنه كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي
أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد

الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده، وقد أفتى مالك رضي الله عنه فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة. وفي الصحيح أنه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول، وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار. وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الأوهام

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرحال حرام

قربتنا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي. قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الأنام وخص بالآيات

عندي لأجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات

وعلي عهد إن ملأت محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات

لأعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات

لولا العوادي والأعادي زرتها ... أبدا ولو سحبا على الوجنات

لكن سأهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات

أذكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالآصال والبكرات

وتخصه بزواكي الصلوات، ونوامي التسليم والبركات.

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم صلى الله عليه وسلم وفرض ذلك وفضيلته، قال الله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية. قال ابن عباس: معناه إن الله وملائكته يباركون على النبي. وقيل: إن الله تعالى يترحم على النبي وملائكته يدعون له. قال المبرد: وأصل الصلاة الترحم، فهي من الله عز وجل رحمة، ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى. وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، فهذا دعاء. وقال بكر القشيري: الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي عليه السلام رحمة، وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة. وقال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه: وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة، فدل أنهما بمعنيين. وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر ابن بكير: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل أصحابه أن يسلموا عليه، وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره. وفي معنى السلام عليه

ثلاثة

ثلاثة وجوه: أحدها السلامة لك ومعك، ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة. الثاني: أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به، ويكون هنا السلام اسم الله تعالى. الثالث: أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد، كما قال: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما.

فصل

اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدود بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب، وأجمعوا عليه. وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب، وادعى فيه الإجماع، ولعله فيما زاد على مرة، والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله. قال القاضي أبو الحسن بن القصار: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان، وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك. وقال القاضي أبو بكر بن بكير: افترض الله عز وجل على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها. قال القاضي أبو محمد ابن نصر: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة. قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد

ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا تتعين
في الصلاة وأن من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط
الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي
أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة
وقالوا وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في
الصلاة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي
وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة
على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير
واجب وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام
فصلاته فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه
ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في
إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا
عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد
وقال أبو بكر بن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة
إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك
ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل
المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي
وغيرهم وهو قول جل أهل العلم وحكي عن مالك وسفيان
أنها في التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء

وشذ الشافعي رحمه الله فأوجب على تاركها في الصلاة
الإعادة ۝ وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون
النسيان وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز
أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال أبو
محمد يريد ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم
وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز
يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي ۝ وحكى أبو يعلى
العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال الوجوب
والسنة والندب وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي
وغيره الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة
في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم له فيها
قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف
الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في
هذه المسألة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي
وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد
عن النبي كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر
وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله
بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم ۝ وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه
وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي

سعيد ۞ وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر
كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه لنا على المنبر عمر ابن
الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار
معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف أهل
الحديث كلهم رواية هذا الحديث ۞ وفي حديث أبي جعفر
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم
يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه ۞ قال
الدارقطني الصواب أنه قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين
لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا
على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم ۞ **فصل** في المواطن
التي تستحب فيها الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويرغب ۞ من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك
بعد التشهد وقبل الدعاء ۞ حدثنا القاضي أبو علي رحمه الله
بقراءتي عليه قال حدثنا الإمام أبو القاسم البلخي قال حدثنا
الفارسي عن أبي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن أبي عيسى الحافظ
قال حدثنا محمود بن غيلان قال ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ
قال ثنا حيوة بن شريح قال حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو
بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع
النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل
هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله

تعالى

تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليدع بعد بما شاء وروي من غير هذا السند بتمجيد الله وهو
أصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلاة معلق
بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله تعالى منه شيء حتى
يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضوان الله عليه
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد
وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله
عليه وسلم ۞ وعن ابن مسعود إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا
فليبدأ بالمدحة والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب
فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى
شرابه شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في
أول الدعاء وأوسطه وآخره ۞ وقال ابن عطاء للدعاء
أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه
قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته
فاز وإن وافق أسبابه أنجح ۞ فأركانه حضور القلب والرقة
والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه من
الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة
على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
علي لا يرد ۞ وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء

بلغ

فإذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء ۞ وفي دعاء ابن عباس
رضي الله عنه الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي
على محمد عبدك ورسولك ونبيك أفضل ما صليت على أحد من
خلقك أجمعين آمين ۞ ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره
وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان وقد قال صلى الله عليه وسلم
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ۞ وكره ابن
حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون
الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه إلا على طريق
الاحتساب وطلب الثواب وقال أصبغ عن ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما إلا الله تعالى الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر
الله تعالى محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله تعالى صلى الله
على محمد لم تكن تسمية له مع الله وقاله أشهب وقال لا ينبغي
أن تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى
النسائي عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار
من الصلاة عليه يوم الجمعة ۞ ومن مواطن الصلاة والسلام عليه
دخول المسجد قال أبو إسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد
أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه
وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل
ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك ۞ وقال عمرو بن دينار

في قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إن لم
يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت
ورحمة الله وبركاته ۞ قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا
المساجد ۞ وقال النخعي إذا لم يكن في المسجد أحد فقل
السلام على رسول الله وإذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ۞ وعن علقمة إذا دخلت المسجد أقول
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد ونحوه عن كعب إذا دخل وإذا خرج ولم يذكر الصلاة
واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد
ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة
وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في ألفاظه ومن
مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة على الجنائز وذكر عن أبي
أمامة أنها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها
عمل الأمة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر
الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس
في أقطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتب وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر
له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على

النبي صلى الله عليه وسلم في تشهد الصلاة ۝ حدثنا أبو القاسم خلف
بن إبراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة
بنت أحمد قالت حدثنا أبو الهيثم قال ثنا محمد بن يوسف قال
ثنا محمد ابن إسماعيل قال ثنا أبو نعيم قال ثنا الأعمش عن شقيق
بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح
في السماء والأرض ۝ هذا أحد مواطن التسليم عليه وسنته
أول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر أنه كان يقول
ذلك إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم واستحب مالك
في المبسوط أن يسلم بمثل ذلك قبل السلام ۝ قال محمد
ابن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما كانا يقولان
عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب
أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في
السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن ۝ وقال مالك
في المجموعة وأحب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام على
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم ۝

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه
قال ثنا القاضي أبو الأصبغ قال ثنا أبو عبد الله بن عتاب
قال ثنا أبو بكر بن وافد وغيره قالوا ثنا أبو عيسى قال ثنا
عبيد الله قال ثنا يحيى قال ثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر
بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني
أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته
كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته
كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ۝ وفي رواية
مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا اللهم صل على
محمد وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد
كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام
كما قد علمتم ۝ وفي رواية كعب ابن عجرة اللهم صل
على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد
وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وعن عقبة
بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى
آل محمد وفي رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد
عبدك ورسولك وذكر معناه ۝ وحدثنا القاضي أبو عبد
الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف النحوي
بقراءتي عليه قالا ثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه قال ثنا
أبو بكر المطوعي قال ثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن أبي
دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب ابن الحسن

عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُسَاوِرِ عَنْ عَمْرِو بْنِ خَالِدٍ عَنْ زَيْدِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
قَالَ عَدَّهُنَّ فِي يَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ
عَدَّهُنَّ فِي يَدِي جِبْرِيلُ وَقَالَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعِزَّةِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى
آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ
اللَّهُمَّ وَتَرَحَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ وَتَحَنَّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَحَنَّنْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ
مَجِيدٌ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا سَلَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى
إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَأَزْوَاجِهِ
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ
حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۞ وَفِي رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ خَارِجَةَ الْأَنْصَارِيِّ سَأَلْتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ فَقَالَ صَلُّوا وَاجْتَهِدُوا
فِي الدُّعَاءِ ثُمَّ قُولُوا اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۞ وَعَنْ سَلَامَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ كَانَ
عَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُعَلِّمُنَا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَبَارِيَ الْمَسْمُوكَاتِ اجْعَلْ شَرَائِفَ

صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحِيَّتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ
وَرَسُولِكَ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْمُعْلِنِ
الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدَّامِغِ لِجَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ
بِأَمْرِكَ بِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ وَاعِيًا لِوَحْيِكَ
حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى
قَبَسًا لِقَابِسٍ آلَاءُ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابُهُ بِهِ هُدِيَتِ الْقُلُوبُ
بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْإِثْمِ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَائِرَاتِ
الْأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ
عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ
بِالْحَقِّ رَحْمَةً اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي عَدْنِكَ وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ
الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ مُهَنَّآتٍ لَهُ غَيْرَ مُكَدَّرَاتٍ مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ
الْمَحْلُولِ وَجَزِيلِ عَطَائِكَ الْمَعْلُولِ اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ
النَّاسِ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنُزُلَهُ وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ
وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ
ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطَّةٍ فَصْلٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ ۞ وَعَنْهُ فِي
الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ الْآيَةَ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ وَسَعْدَيْكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
الْبَرِّ الرَّحِيمِ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَمَا سَبَّحَ لَكَ مِنْ شَيْءٍ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ
عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الشَّاهِدِ الْبَشِيرِ الدَّاعِي

المعلول من العلل والعلة هي الشرب الثاني تعالّا علينا الإبل إذا شربت ثانية تعلل أخرى والعلل عطفا حقق تعلل الشرب الثاني والنهل الشرب الأول والله أعلم ۞

إليك بإذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود
أنه كان يقول اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك إمام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد
مجيد وكان الحسن البصري يقول من أراد أن يشرب بالكأس
الأوفى من حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم فليقل اللهم صل
على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل
بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا
معهم أجمعين يا أرحم الراحمين ۝ وعن طاوس عن ابن عباس
أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع
درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم
وموسى ۝ وعن وهيب بن الورد أنه كان يقول في دعائه
اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه وأعط محمدا أفضل ما
سألك له أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول
له إلى يوم القيامة وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا
صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه
فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين

وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه
فيه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ۝ وما
يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء عن أهل البيت وغيرهم
كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من
قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ۝ وفي تشهد علي عليه السلام ۝
السلام على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله السلام على
رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى
المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم
اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لأهل بيته واغفر لي
ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ۝
جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم
بالغفران وفي حديث الصلاة عليه أيضا قبل الدعاء له بالرحمة
ولكن يأتي في غيره من الأحاديث المرفوعة المعروفة ۝ وقد
ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي
بالرحمة وإنما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى
لغيره بالرحمة والمغفرة ۝ وقد ذكر أبو محمد بن أبي زيد

في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل
محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يأت هذا في حديث
صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته وان الصلاة عندهم من الله عز وجل بمعنى الرحمة

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

والتسليم عليه والدعاء له حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من
كتابه قال حدثنا القاضي يونس بن مغيث قال ثنا أبو بكر بن معوية
ثنا النسائي أنا سويد بن نصر أنا عبد الله عن حيوة بن
شريح قال أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن
ابن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من
صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة
فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا
أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه
الشفاعة. وروى أنس بن مالك أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر
صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات.
وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن أنس عنه صلى الله
عليه وسلم أن جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله
عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن
ابن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال إني
أبشرك أن الله تعالى يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن
صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك
ابن أوس بن الحدثان وعبيد الله بن أبي طلحة. وعن زيد
بن الحباب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال
اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة
وجبت له شفاعتي. وعن ابن مسعود أولى الناس بي
يوم القيامة أكثرهم علي صلاة. وعن أبي هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر
له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب. وعن عامر بن ربيعة
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت
عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر.
وعن أبي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال أبي بن
كعب يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك
من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن
زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وإن زدت فهو
خير قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير
قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك قال إذن
تكفى ويغفر ذنبك. وعن أبي طلحة قال دخلت على

النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره
قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني
ببشارة من ربي إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس
أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله عليه وملائكته بها
عشرا ٥ وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما
محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة ٥ وعن
سعد بن أبي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له ٥
وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم
علي عشرا فكأنما أعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي
أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي ٥ وفي أخرى إن
أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة
٥ وعن أبي بكر الصديق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من
عتق الرقاب ٥

فصل في ذم من لم يصل على النبي

صلى الله عليه وسلم وإثمه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله
ثنا أبو الفضل ابن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا ثنا
أبو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا أحمد بن

بلغ مقابلا على أصله حسب الطاقة

إبراهيم

إبراهيم الدورقي ثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن
بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل
أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه
الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما ٥ وفي حديث
آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين
ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن
ذلك فقال إن جبريل أتاني فقال يا محمد من سميت بين
يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل
آمين فقلت آمين وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه
فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما
فمات مثله وعن علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه عنه عليه
السلام أنه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي ٥
وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة
وعن علي ابن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن
أبي هريرة قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا
مجلسا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله
عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء

غفر لهم ۝ وعن أبي هريرة قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم
من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة ۝ وعن قتادة عنه صلى
الله عليه وسلم من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي ۝
وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا
على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا عن أنتن
من ريح الجيفة ۝ وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلساً لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب
۝ حكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال إذا صلى
الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه
ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام

حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا أبو
عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا أبو داود
ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد
عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا رد الله
علي روحي حتى أرد عليه السلام ۝ وذكر أبو بكر بن
أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً
بلغته ۝ وعن ابن مسعود إن لله تعالى ملائكة سياحين

في الأرض

في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن أبي هريرة ۝ وعن
ابن عمر أكثروا من السلام على نبيكم صلى الله عليه وسلم كل جمعة
فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة ۝ وفي رواية فإن أحداً
لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها ۝ وعن
الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فإن
صلاتكم تبلغني ۝ وعن ابن عباس ليس أحد من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه إلا بلغه ۝ وذكر
بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض
عليه اسمه ۝ وعن الحسن بن علي إذا دخلت المسجد فسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيث
كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ۝ وفي حديث أوس
أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة
علي ۝ وعن سليمان بن سحيم قال رأيت النبي صلى الله عليه
وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم ۝ وعن ابن شهاب
بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا علي من الصلاة
في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم وإن
الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا
حملها ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن
فلاناً يقول كذا وكذا ۝

فصل في الاختلاف في

ن

بلغ

الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم
السلام قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه عامة أهل العلم
متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عن ابن عباس أنه قال لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه
وسلم وروي عنه لا ينبغي الصلاة على أحد إلا النبيين وقال
سفيان يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك رضي الله عنه أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من
الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه
وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن إسحق أكره الصلاة
على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به ه وقال
يحيى ابن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على
الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في
حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى
أزواجه وعلى آله ه وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي
روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه
وسلم قال وبه نقول ولكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد
الرزاق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلوا على أنبياء الله عز وجل ورسله فإن الله بعثهم كما
بعثني قالوا والأسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان
العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع
منه حديث صحيح أو إجماع وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملائكته

وملائكته الآية وقال تعالى خذ من أموالهم صدقة وتزكيهم
بها وصل عليهم الآية وقال تعالى أولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة ه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل
على آل أبي أوفى وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل
على آل فلان ه وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى
أزواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه
وقيل أمته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل
ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة
وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد
قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد
محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد
نفسه لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض
الذي أمر الله تعالى به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا
مثل قوله عليه السلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل
داود يريد من مزامير داود ه وفي حديث أبي حميد الساعدي
في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ه وفي
حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى
الأندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر
وروى ابن وهب عن أنس بن مالك قال كنا ندعو لأصحابنا

بالغيب فتقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل وبالنهار. قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
والذي ذهب اليه المحققون وأميل اليه ما قاله مالك وسفيان
رضي الله عنهما وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد
من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم
بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله
تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه
غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء
بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله تعالى به بقوله
تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم
بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان وقال تعالى والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول
كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض
الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع
منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على
الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من
صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم

كدعاء

كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء
الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من
شيوخنا.

فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو

وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها. روي عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي. وعن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني بعد
موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك رضي الله عنه ان يقال
زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك
فقيل كراهية الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله
زوارات القبور وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن
زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم
الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور
وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما
وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا
اللفظ في حقه تعالى والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له
لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي
لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم

جواري بالضم والكسر والكسر افصح

مساجد. فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك
قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم. وقال أبو عمران
إنما كره مالك أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى
الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية
النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وأحب أن يخص بأن
يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضا فإن الزيارة
مباحة بين الناس وواجب شد الرحال إلى قبره صلى الله عليه
يريد بالوجوب هاهنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد. وقال
إسحق بن إبرهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج
المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه
وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند إليه
وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه وبمن عمره
وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله. وقال
ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أن من
وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله
وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد
من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم
تسقط له حاجة. وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قال قدمت
على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة
إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه

ليس من الأصل المعلم عليه

مني

مني السلام. قال غيره وكان يبرد إليه البريد من الشام قال
بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. قال مالك في رواية ابن وهب
إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى
القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده. وقال
في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
يدعو ولكن يسلم ويمضي. وقال ابن أبي مليكة من أحب أن
يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي
في القبلة عند القبر على رأسه. وقال نافع كان ابن عمر يسلم على
القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على
النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم
ينصرف. ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه. وعن ابن أبي قسيط
كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد مسوا برمانة
المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون. وفي
الموطإ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف على
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى أبي بكر وعمر. وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي
بكر وعمر. قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. قال في المبسوط ويسلم

عمر ح

والقعنبي ح

على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال القاضي أبو الوليد الباجي
وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولا
ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن
حبيب ويقول إذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام
علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من
الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر
والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله تعالى
فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه فإن كانت ركعتاك
في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل وقد قال صلى الله
عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا
متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر
وتدعو لهما وأكثر من الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور
الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد
وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج
مسافرا ه وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله
عليه وسلم ورضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلت

نبيهما

المسجد

المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرجت فصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
أبواب فضلك وفي رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه
ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك وفي أخرى
اللهم احفظني من الشيطان ه وعن محمد بن سيرين قال
كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على
محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله
خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك
ه وعن فاطمة أيضا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد
قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا
ه وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله ه وعن
غيرها قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد
قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن
أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم افتح لي ه وقال مالك في المبسوط وليس
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر
وإنما ذلك للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر أو
خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له فإن ناسا من أهل المدينة

لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة
أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين
أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني
هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر
هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة
وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر
أو أراده ۝ قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا
منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي ۝ قال
الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك
وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم وقال
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب
الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا
قبري عيدا ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف
بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية
يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأحب
مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود
المخلق وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه
للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت ۝

فصل

فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب
سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد
مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة ۝ قال

الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن
تقوم فيه ۝ روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد
هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن
ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم ۝ وعن ابن عباس
أنه مسجد قباء حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه ثنا
الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر النمري ثنا أبو محمد بن عبد
المؤمن ثنا أبو بكر بن داسة ثنا أبو داود ثنا مسدد ثنا سفيان
عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ۝ وقد تقدمت
الآثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول
المسجد ۝ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال مالك رحمه
الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا
بصاحبه فقال ممن أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت
من هاتين القريتين ح إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن
مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من
الأذى وأن ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي
إسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء
كلهم متفقون أن حكم سائر المساجد هذا الحكم ۝ قال القاضي

(في الهامش: لـ — ادبتك ح — ارتيك ح)

إسمعيل قال محمد يعني بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما
يخص به المساجد رفع الأصوات قد كره رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجد منى قال أبو هريرة
عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما
سواه إلا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى
هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب
مالك رضي الله عنه في رواية أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه
وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث أن الصلاة في مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف
صلاة إلا المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف واحتجوا بما روي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من
مائة صلاة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه
وسلم بتسع مائة وعلى غيره بألف وهذا مبني على تفضيل المدينة
على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك
وأكثر المدنيين وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة وهو
قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي رضي الله عنه وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على
ظاهره وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل واحتجوا بحديث عبد الله
بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة وفيه

وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة
صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد
الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف ولا خلاف
أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض قال
القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم
مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب
الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب
مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا قال وجمعة
خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد
الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه
وقال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من
رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد وزاد ومنبري
على حوضي وفي حديث آخر ومنبري على ترعة من
ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد
بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما بين
حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد
ابن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال
الطبري وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات
ولم يكن بينهما خلاف لأن قبره في حجرته وهو بيته وقوله
ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي كان في
الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك منبر والثالث أن

قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي ٥ وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة ٥ وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ٥ وقال إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وروي عنه صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها وقال الله تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة إلى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا ولجأ إليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا على قول بعضهم وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن

كلامه في نسخة من التبريزي

١٧٩

فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين قرأت على القاضي الفقيه الحافظ أبي علي رحمه الله حدثك أبو العباس العذري ثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق قال سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد قال سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له قال ابن عباس وأنا فما دعوت الله عز وجل بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال سفيان بن عيينة وأنا فما دعوت الله عز وجل بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي وقال الحميدي وأنا فما دعوت

الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من شعيب إلا استجيب
لي وقال محمد بن ادريس وأنا فما دعوت الله عز وجل بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي وقال
أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله عز وجل بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس إلا استجيب لي قال أبو
أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا فما دعوت
الله عز وجل بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن
رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي
من أمر الآخرة قال العذري وأنا فما دعوت الله عز وجل
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا استجيب
لي قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله تعالى فيه بأشياء كثيرة
استجيب لي بعضها وأرجو من سعة الله فضله أن يستجيب لي
بقيتها قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد ذكرنا نبذا من
هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من الباب لتعلقها
بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب
برحمته

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من
الأحوال البشرية أن يضاف إليه قال الله تعالى وما محمد إلا
رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل الآية وقال
تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه
صديقة كانا يأكلان الطعام وقال تعالى وما أرسلنا قبلك
من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق
وقال تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية
فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا
إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول
عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم
إذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
إذا كان على صورته وقال تعالى قل لو كان في الأرض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا أي لا يمكن في سنة الله تعالى إرسال الملك إلا لمن
هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على
مقاومته كالأنبياء والرسل فالأنبياء والرسل وسائط بين
الله وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه
وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم
متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من
الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية
وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف
البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة
سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية

كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم
ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر
ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة
وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم
كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر
مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى
الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر
خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن
وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال إني لست
كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة
عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن
يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما
نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله تعالى وهو حسبي ونعم
الوكيل

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء عليهم السلام
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله اعلم أن الطوارئ من التغييرات
والآفات على آحاد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه
بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد
واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ
بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح
وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار

بلغ مقابلا على أصل حسب الطاقة

والتغيرات ٢

في هذه

في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من
البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت
البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار
كما سنبينه إن شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم
منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله تعالى وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو
الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما
وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون
في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله تعالى
له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة
الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته
ومشاهدته الوجه الثاني أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون
قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن
في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في
قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في

يهه

بلغ

هيئة

ت

النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي
من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا
قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور
اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين بأن
ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه
الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني
على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية الوجه
السادس أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد
قربة وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم
نفي لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا
بإبراهيم أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى فلو شك
إبراهيم لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب أو أن يريد أمته
الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق
إن حملت قصة إبراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه فإن قلت
فما معنى قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل
الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر ثبت الله قلبك أن
يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من
إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى
قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة

للمفسرين

للمفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا
محمد للشاك إن كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها
ما دل على هذا التأويل قوله تعالى قل يا أيها الناس إن كنتم في شك
من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي
صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره
كثير قال بكر بن العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان يكذبه فيما يدعوا
إليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب
غيره ومثل هذه الآية قوله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور
هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه
وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر
السائل وقيل إن هذا الشك الذي أمر غير النبي صلى الله
عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب إنما هو فيما قصه من أخبار
الأمم لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون
والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل
معناه سلنا عمن أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن إلى آخر الآية على طريق
الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي وقيل أمر النبي صلى الله عليه
وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك فكان أشد يقينا

من أن يحتاج إلى السؤال فروي أنه قال لا أسأل قد اكتفيت
قاله ابن زيد ۝ وقيل سل أمم من أرسلنا هل جاؤوهم بغير التوحيد
وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا
والذي قبله إعلامه بما بعثت به الرسل وأنه لم يأذن الله تعالى
في عبادة غيره لأحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
أي في علمهم بأنك رسول الله وإن لم يقروا بذلك وليس المراد
به شكه فيما ذكر في أول الآية وقد يكون أيضا على مثل ما
تقدم أي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين
بدليل قوله تعالى أول الآية أفغير دين الله أبتغي حكما الآية وأن
النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره ۝ وقيل هو تقرير
كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
وقد علم أنه لم يقل ۝ وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد
طمأنينة وعلما إلى علمك ويقينك ۝ وقيل إن كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك
وحكي عن أبي عبيدة أن المراد إن كنت في شك من غيرك فيما
أنزلنا فإن قيل فما معنى قوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل
وظنوا أنهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما
قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله أن تظن ذلك الرسل
بربها وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من

وعدلهم

وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين
وقيل إن الضمير في ظنوا عائد على الأتباع والأمم لا على
الأنبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة
من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل
بالك من شاذ التفسير سواه بما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
بالأنبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي
من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي
ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله
خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع
قلبه أو تزهق نفسه هذا إما على ما ورد في الصحيح أنه قاله
بعد لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه الملك وإعلام الله
تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه
الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في
بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام
ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه
الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لأول حالة بنية البشر
۝ وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
قالت ثم حبب إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في
غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ۝ ويرى الضوء سبع سنين

ولا يرى شيئا وثبات سنة يوحى إليه وقد روى ابن إسحق
عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار
حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر نحو
حديث عائشة في غطه له وإقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال
فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي
ولم يكن أبغض إلي من شاعر أو مجنون قلت لا تحدث
عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن
نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مناديا ينادي
من السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي
فإذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا
أن قوله لما قال وقصده ما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل
عليه السلام وقبل إعلام الله له بالنبوة وإظهاره واصطفائه له
بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه صلى الله عليه
وسلم قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت
والله أن يكون هذا لأمر ٭ ومن رواية حماد بن سلمة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتا وأرى ضوءا
وأخشى أن يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض
هذه الأحاديث إن الأبعد شاعر أو مجنون وألفاظ يفهم منها معاني
الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان كله في ابتداء أمره وقبل
لقاء الملك له وإعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز
عليه شك فيما ألقي إليه ٭ وقد روى ابن إسحق عن شيوخه أن

بلغ

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين
قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان
يصيبه فقالت له خديجة أوجه إليك من يرقيك قال أما
الآن فلا وحديث خديجة رضي الله عنها واختبارها
أمر جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة
لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي
يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد
الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن أبيه عن عائشة
رضي الله عنها أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك
٭ وفي حديث إسمعيل ابن أبي حكيم أنها قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك
قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر
الحديث إلى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن
عم فاثبت وأبشر وآمنت به فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته
لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم ٭ وقول
معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا
حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في
هذا الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا
من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف
مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه

تختبر

كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما لحقه من
تكذيب من بلغه كما قال الله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم
إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ويصحح هذا التأويل حديث
رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عقيل عن
جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور
في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا
إنه ساحر اشتد ذلك عليه فتزمل في ثيابه وتدثر فيها
فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة
لأمر أو سبب منه فخشي أن تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك
بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو
هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم
به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن أن لن نقدر عليه
معناه أن لن نضيق عليه ۞ قال مكي طمع في رحمة الله عز وجل
وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه
أنه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه وقد قرئ
نقدّر بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن
زيد معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق أن
يظن بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله إذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه إذ مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر
لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء ۞ وقيل مستحييا من قومه أن

يسموه

يسموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر ۞ وقيل مغاضبا
لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله تعالى به
على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري أقوى عليه مني فعزم
عليه فخرج لذلك مغاضبا ۞ وقد روي عن ابن عباس أن إرسال
يونس ونبوته إنما كانت بعد أن نبذه الحوت واستدل من
الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من
يقطين وأرسلناه ويستدل أيضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت
إذ نادى وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصا
فتكون هذه القصة إذا قبل نبوته ۞ فإن قيل فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم
مائة مرة وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة فاحذر
أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو ريبا وقع في
قلبه عليه السلام بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه
قاله أبو عبيد وأصله من غين السماء وهو إطباق الغيم عليها
وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم
الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك
لا يفهم من الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من
سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر
الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد
بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن
مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان عليه السلام دفع إليه

[illegible]
قال بعضهم يغان أي تتغشى القلب
ما يلبسه وقد قال أبو حاتم في قوله
ليغان على قلبي [illegible] عليه الكرب
في ضيق الصدر ولا استغفاره
صلى الله عليه وسلم [illegible] أحدهما
أن الله تعالى [illegible]
فعلا أو فعلة فكان [illegible]
الاستغفار والدوام عليه
أنه كان يستغفر لتنبيه عن
بعض الطاعات لا لعصمة
الذنوب إذ الله تعالى [illegible]
من ذلك بقوله توبوا إلى الله
استغفروا والله ۞

من مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة
الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء أداء
الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله
عز وجل مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت
حالته عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله
بكليته عليه ومقامه هنالك أرفع حاليه رأى صلى الله عليه وسلم
حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا
من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث
وأشهرها وإلى معنى ما أشرنا إليه مال كثير من الناس وحام
حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا
للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو
في غير طريق البلاغ على ما يأتي وذهبت طائفة من أرباب القلوب
ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة إلى أن
معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته صلى الله
عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم
قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله
تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره صلى الله عليه
وسلم عندها إظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره
وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعر

الحذر

الحذر ولا يركنون إلى الأمن وقد يحتمل أن تكون هذه الإغا
نة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملا
زمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا وعلى
هذه الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث
عنه صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين
مرة فأستغفر الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه
عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
وقوله تعالى لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم إني
أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك
إلى قول من قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن
يجهل أن الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح
لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق
إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على
الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات
الجاهلين كما قال إني أعظك وليس في آية منهما دليل على
كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية
نوح قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على
ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز إباحة
السؤال فيه ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى
نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير

صالح حكى معناه مكي رحمه الله كذلك أُمر نبينا صلى الله عليه وسلم في
الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند
ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر بن
فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد عليه السلام أي فلا
تكونوا من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي وقال مثله في القرآن
كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد
النبوة قطعا **فإن قلت** فإذا قررت عصمتهم من هذا وأنه لا
يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى إذًا وعيد الله تعالى لنبينا
صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله وتحذيره منه كقوله سبحانه
لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله تعالى ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله تعالى إذًا لأذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات الآية وقوله تعالى لأخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين الآية وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض
يضلوك عن سبيل الله وقوله تعالى فإن يشإ الله يختم على قلبك
وقوله تعالى وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله تعالى يا أيها
النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين **فاعلم** وفقنا الله وإياك
أنه صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ وأن يخالف
أمر ربه ولا أن يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب أو يفتري عليه
أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين لكن يسر أمره
بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه إن لم يكن بهذه
السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله

يعصمك من الناس كما قال تعالى لموسى وهارون لا تخافا لتشتد
بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله عز وجل ويذهب عنهم
خوف العدو المضعف للنفس وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض
الأقاويل الآية وقوله تعالى إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله
وكذلك قوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فالمراد
غيره كما قال إن تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن يشإ الله يختم على
قلبك ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره وأن هذه
حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله
اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه أطاعهم والله تعالى ينهاه عما
يشاء ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم
الآية وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم وما كان من الظالمين

فصل

وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه
خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى
وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار
عن الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا
ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف
ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول
من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي
ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل
وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وأنا أقول

تعاضدت

تنبأ

والتشكك

إن قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير
كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه أو
نقلته إلينا الرواة عنهم ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه آلهتهم وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جاء معهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع
في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم
يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند
تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله
عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وبقوله
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله ولتنصرنه قال فطهره الله
تعالى في الميثاق وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ
ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز
عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى
كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل وشق قلبه صغيرا
واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله
وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبتدأ ولا يشتبه عليك
بقول إبراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي
فإنه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال

وقبل لزوم التكليف ۵ وقد ذهب معظم الحذاق من العلماء
والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد
أفهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم
كما قال أين شركائي أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئا
من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه
إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب
العالمين وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام وقوله
إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك فإن قلت فما معنى قوله
لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قيل إنه
إن لم يؤيدني بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم
على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو معصوم في الأزل من
الضلال فإن قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل
قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله
منها فلا يشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون
إلى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب
لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين
عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر ۵
فعادا بعد أبوالا ۵ وما كانا قبل كذلك فإن قلت فما معنى قوله تعالى

سل

دون

هذي المناقب لا قعبان من لبن ۵ شيبا بماء فعادا بعد أبوالا ۵

ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر
قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها قاله الطبري وقيل وجدك
بين أهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى إرشادهم
ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك أي
لا تعرفها فهداك إليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه
ويتشرع به حتى هداه الله تعالى إلى الإسلام قال معناه القشيري
وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له
ضلالة معصية وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين وقيل
وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة وقيل المعنى
وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك
ضالا عن محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي
وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك
وقال ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي والضال المحب
كما قال إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا
ها هنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله عز وجل لكفروا
ومثله عند هذا قوله تعالى إنا لنراها في ضلال مبين أي محبة
بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل إليك فهداك
لبيانه لقوله وأنزلنا إليك الذكر الآية وقيل ووجدك لم يعرفك
أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء ولا أعلم أحدا من

المفسرين قال فيها ضالا عن الإيمان وكذلك في قصة موسى عليه
السلام قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الأزهري
معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا
فهدى أي ناسيا كما قال تعالى أن تضل إحداهما فإن قلت فما معنى
قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان فالجواب أن
السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن
ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر القاضي نحوه
قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال فكان
قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف إيمانا بتوحيده وهو أحسن وجوهه فإن
قلت فما معنى قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين
فاعلم أنه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن آياتنا غافلون
بل حكى أبو عبد الله الهروي أن معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
إذ لم تعلمها إلا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن
أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان
يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم
خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث
أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع أو شبيه بالموضوع
وقال الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده والحديث

بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد ذلك عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله عز وجل له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم عليه السلام

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدنيا والدين ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث

وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء عليهم السلام العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله تعالى ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء عليهم السلام وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده بذلك عن وحي من الله تعالى فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى

مقتضى حديث أم سلمة إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي
فيه خرجه الثقات وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين
على رأي بعضهم فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده
إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف
فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق عندنا
والصواب ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة
النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولأن
القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر
النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه
شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه
فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم
منها أولا إلا ما علمه الله تعالى شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده
إما بوحي من الله تعالى أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله
وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم
جميعها عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على
التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه
الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه إذ لا تصح
دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من ملكوت السماوات
والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى
وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم
ما كان ويكون مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم

بلغ مقابلة على أصل صحيح الكاتبه فصح إن شاء الله

فيه لا يأخذه فيما أعلمه منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين
لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده
من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله عليه السلام إني لا
أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى عليه السلام للخضر هل
أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه
وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وقوله
أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب
عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد
ابن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى وهذا ما لا خفاء
به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي
صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والأمور
الدينية

فصل

واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة
النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه
بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا القاضي
الحافظ أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو الفضل بن خيرون العدل
ثنا أبو بكر البرقاني وغيره ثنا أبو الحسن الدارقطني ثنا إسماعيل
الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن
منصور عن سالم ابن أبي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد
إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما سمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خلفه خضراء قيل الفروة البيضاء الأرض اليابسة وقيل الهشيم اليابس والله أعلم

بلغ

ح الوساوس

يا رسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم ه زاد
غيره عن منصور فلا يأمرني إلا بخير ه وعن علي بسنده بمعناه
وروي فأسلمُ بضم الميم أي فأسلم أنا منه وصحح بعضهم هذه
الرواية ورجحها وروي فأسلم يعني القرين أي إنه انتقل
عن حاله الكفرة إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو
ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم ه قال القاضي أبو
الفضل فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني
آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على
الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير
موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه وإدخال شغل
عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في
صلاته فأخذه النبي عليه السلام وأسره ه ففي الصحاح قال
أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم إن الشيطان عرض لي قال
عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني
الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا
تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي وهب
لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا وفي
حديث أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم إن عدو الله إبليس
جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في
الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه ه
وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة ه

وكذا

ه وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه
جبريل ما يتعوذ به ذكره في الموطأ ه ولما لم يقدر على
أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش
في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة
الشيخ النجدي ومرة أخرى في غزوة يوم بدر في صورة سرا
قة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية
ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله
تعالى أمره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام إن
عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته
حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين لدّ في
مرضه وقيل له خشينا أن يكون بك ذات الجنب فقال إنها
من الشيطان ولم يكن الله عز وجل ليسلطه علي فإن قيل
فما معنى قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فا
فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله
تعالى وأعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد أن نزغ الشيطان
بيني وبين إخوتي ه وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك
والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك
عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به
وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ

منه فيكفي أمره ويكون بسبب تمام عصمته إذ لم يتسلط عليه بأكثر
من التعرض له ولم تجعل له قدرة عليه ۝ وقد قيل في هذه
الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة
الملك ويلبس عليه لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد
في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي أن ما يأتيه من الله
الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له
أو ببرهان يظهره على يديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا
مبدل لكلماته ۝ فإن قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في
أمنيته الآية فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل منها
السهل والوعث والسمين والغث وأولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني هاهنا التلاوة وإلقاء الشيطان
فيها إشغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل غير ذلك على أفهام
السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله تعالى
وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية
بعد بأشبع من هذا إن شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي
إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته
عليه وأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان عليه السلام
مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له ۝
وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب عليه السلام وقوله إني

مسني

مسني الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول
أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك إلا بفعل الله تعالى وأمره ليبتليهم ويثيبهم ۝ قال مكي
وقيل إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به إلى أهله ۝
فإن قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان
وقوله تعالى عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي إن
هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا
من عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا
على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو
فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن
قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه إذ لم تثبت له في ذلك
الوقت نبوة مع موسى عليه السلام قال الله تعالى وإذ قال
موسى لفتاه والمروي أنه إنما نبئ بعد موت موسى وقيل
قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن
وقصة يوسف عليه السلام قد ذكر أنها كانت قبل نبوته وقد
قال المفسرون في قوله فأنساه الشيطان قولين أحدهما
أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن وربه
الملك أي أنساه الشيطان أن يذكر للملك شأن يوسف
وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف

قوله فليقاتله كلام خرج على جهة التغليظ واجمع أهل العلم أنه لا ينبغي ... هكذا ... من ذلك ... للعلماء ... والله أعلم

ويوشع به وساوس ونزغ وانما هو يشغل خواطرهما بامور
اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا ٥ واما قوله
صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه
عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر
ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه
كما يهدا الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك
الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان
جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن
الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث
زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع
اشكاله

فصل

واما قوله صلى الله عليه وسلم
فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت
الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا وغلطا اما تعمد
الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول
الله تعالى صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا
واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند
الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة
الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى
الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر

الباقلاني

الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة
لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع
عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من
وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضا
والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو
قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضا
والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد
ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة
على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان
المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى له صدقت فيما تذكره عني وهو
يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين
لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا
الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط
والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة
مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا
كما قاله ابو اسحق

فصل

وقد توجهت ها هنا لبعض
الطاعنين سؤالات ٥ منها ما روي من ان النبي صلى الله

عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلى وإن
شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية إن شفاعتها
لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة العلى
تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات
أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم
كان تمنى أن لو أنزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي
رواية أخرى أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه
القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ
الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فأنزل الله تسلية له وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الآية وقوله تعالى وإن كادوا ليفتنونك
عن الذي أوحينا إليك الآية فاعلم أكرمك الله أن لنا
في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين
أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن
هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي
الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون

مع

مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده
واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول
قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر
يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه
فسها وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن
النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا
أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه
وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله
ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن
حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها
أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز
ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله
عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من
طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه وأما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا

ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله والذي منه
في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد
معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا ما توهنه من
طريق النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت
الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه
الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة
غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن
حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم
أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل وذلك
كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم
من هذا كله ۝ وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته صلى الله عليه
وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه
عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه
سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل
عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية
وقال تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك
أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض
الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما
كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين

وصناديد

وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على
أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان
ومعرفة فصيح الكلام علمه ۝ ووجه ثالث أنه قد علم
من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة
القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة
وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة
وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد
من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم
يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية
الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها
على المسلمين الصولة ولأقامت اليهود بها الحجة عليهم
كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك
لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية
ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت ۝ فما
روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت
شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها ولا شك في
إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث
على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين
۝ ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت
وإن كادوا ليفتنونك الآية وهاتان الآيتان تردان

الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه
حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فمضمون
هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته
حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في
أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح
آلهتهم وأنه قال صلى الله عليه وسلم افتريت على الله
وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف
الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في
الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك
من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن
كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل
قال القاضي القشيري ولقد طالبته قريش وثقيف
إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان
به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الأنباري
ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى هذه
الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة
رسوله صلى الله عليه وسلم ترد سفسافها فلم يبق في الآية
إلا أن الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته
وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومراده

طالبه

من ذلك كله تنزيهه صلى الله عليه وسلم وعصمته وهو مفهوم الآية
وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد
أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب
على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم
أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على
لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله تعالى على لسانه ولا
يستولي عليه الشيطان في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من
جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه
وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية
ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك
قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن يتقوله عليه
السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير
التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي
على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا
ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس
من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر ولا يعترض
على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام فيها قبل

لك

غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره
من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما
أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي في قراءته تفصيلا
كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى
الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من
قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك
عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله
وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان
وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان
ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم وكل هذا لا يوجب ريبا
ولا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل
إن يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى
الناس غير القرآن فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك كيف شاء
ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما
أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا
قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ
الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته
وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو

إذا قرأ فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية
أنه حدث نفسه وقال إذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية
أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس
طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل
السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه
عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو
وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة
والغرانقة العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا
والمراد بالغرانقة العلى وأن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه
الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة وذلك أن الكفار
كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد
عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله تعالى
كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله
المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك
وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله عز وجل ما ألقى الشيطان
وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان
بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان
في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء
ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين وليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن
الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من

ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية ۝ وقيل إن النبي صلى
الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها
فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي
صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم في قولهم لا
تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل
إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي
صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه
فسلاه الله تعالى بقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
إلا إذا تمنى الآية وبين للناس الحق من الباطل من ذلك وحفظ
القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو وكما ضمنه تعالى
من قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ۝ ومن ذلك
ما روي في قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه العذاب
عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا
أبدا فذهب مغاضبا ۝ فاعلم أكرمك الله أن ليس في خبر من
الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس عليه السلام قال لهم إن
الله مهلككم وإنما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم إن العذاب مصبحكم
وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع عنهم العذاب
وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي الآية ۝ وروي في الأخبار أنهم رأوا دلائل العذاب

وبجابلة قال ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب
كما يغشى الثوب القبر ۝ فإن قلت فما معنى ما روي من أن
عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف
محمدا حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم
حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي
صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول عليه السلام
اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول أكتب سميعا
بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن أنس أن نصرانيا
كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلم ثم ارتد وكان
يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له ۝ فاعلم ثبتنا الله وإياك
على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل إلينا
سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا
إذ هي حكاية عن من ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر
المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسله
ما هو أعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكا
ية وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله
ورسوله ولم يرد عن أحد من المسلمين ولا ذكر أحد من
الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم
وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله الآية وما وقع من ذكرها
في حديث أنس وظاهر حكايتها له فليس فيه ما يدل أنه شاهدها ولعله

ح الثوب القبر

حكى ما سمع ﴿ وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عن
ولم يتابع عليه ﴿ ورواه حميد عن أنس قال وأظن حميدا إنما
سمعه من ثابت ﴿ قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ولهذا والله أعلم
لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح عبد العزيز
ابن رفيع عن أنس الذي خرجه أهل الصحة ذكرناه وليس فيه عن
أنس قول شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه
وسلم فيما أوحي إليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما
بلغه ولا طعن في نظم القرآن وأنه من عند الله تعالى إذ ليس فيه لو
صح أكثر من أن الكاتب قال له عليم حكيم أو كتبه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما نزل
على الرسول قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول
صلى الله عليه وسلم يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على
الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف
إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به
ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم إن صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من
مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه
وسلم فأملى إحداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام
إلى الأخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي
صلى الله عليه وسلم ثم أحكم الله من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد

ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور
وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف
وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشرها وننشزها
ويقضي الحق ويقص الحق ﴿ وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي
صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل إن هذا يحتمل أن يكون
فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس غير القرآن فيصف الله
ويسميه في ذلك كيف يشاء ﴿

فصل

هذا القول فيما طريقه
البلاغ وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مستند
لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور
الدنيا وأحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال
سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق
السلف رضوان الله عليهم وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين
الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله والثقة بجميع
أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت وأنه لم يكن لهم
توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك
هل وقع فيها سهو أم لا ﴿ ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على
عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أجلاهم عن خيبر بإقرار رسول

الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم
كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من
أبي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وأيضا فإن أخباره وآثاره
وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء
منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله أو اعترافه
بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى
الله عليه وسلم رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل
وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الأمور التي ليست من
هذا الباب كقوله والله لا أحلف على يمين فأرى خيرا منها إلا
فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله إنكم تختصمون
إلي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين
كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله عز وجل
مع أشباهها وأيضا فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء
من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب في خبره واتهم
في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة
الغلط مع ثقته وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية
والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه
منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا
الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في

بلغ مقابلا على أصل حسب
الطاقة فصح ولله الحمد تعالى

الخلاف

الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله
وكثيره وسهوه وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام
والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز
شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع
عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه
من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في
تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه
لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال
دنياهم لأن ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن
تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا
به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا
صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب
الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه

فصل

فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا
به الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر ثنا القاضي أبو الأصبغ بن
سهل ثنا حاتم بن محمد ثنا أبو عبد الله بن الفخار ثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله
ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن
أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت
الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن

وفي الرواية الأخرى ما قصرت الصلاة وما نسيت الحديث
بقصته فأخبر بنفي الحالتين وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال
ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله وإياك
أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف ومنها ما هو
بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز
الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه
من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من
يمنع السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه
على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه
مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة
السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما
سنذكره ففيه أجوبة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن
اعتقاده وضميره أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس
في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق
أيضا وجه ثان أن قوله صلى الله عليه وسلم لم أنس راجع إلى السلام
أي إني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو أبعدها ما ذهب إليه
بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر
والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى

الصحيحة

الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت
فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف
الآخر منها قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والذي أقول ويظهر
لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس إنكار للفظ الذي
نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس ما لأحدكم أن يقول
نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث
الآخر لست أنسى ولكن أنسى فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم
نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن
كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق أنه نسي
وأجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر وكل
ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه
النسيان لأن النسيان غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل بال قال
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها
وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة
عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت
ولا نسيت خلف في قول وأما قصة كلمات إبراهيم عليه السلام
المذكورة في الحديث أنها كذباته الثلاث المنصوص في القرآن منها
اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته
إنها أختي فاعلم أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب لا

في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها
مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره
معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه
من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي
من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم
وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر
بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل
بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة
النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثنا نظره في ذلك وقبل
استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك
هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم
نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله تعالى
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه
الله تعالى وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية
فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله
على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق أيضا لا خلف فيه
واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام
وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت
فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن

الا هذه

الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم
بمؤاخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده
لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن
موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول
تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا
لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى
قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم
فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بلى
عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله انه ليس
كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة
عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه
فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق
الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة
والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك أيضا عن اعتقاده
وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه
وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة
الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد
الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما
فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما
اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله

تعالى

ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم الله
كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو
درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه
ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه
الرذايل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من
عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ۝ ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم
ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القايلين بنبوة الخضر لقوله فيه
انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي ۝ واما الانبيا
فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه
بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي
اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا كان في زمن موسى عليه السلام
نبي غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك
شيا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو
على الخصوص وفي قضايا معينة لم نحتج الى اثبات نبوة الخضر
ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن
الله تعالى والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما
الجي موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم ۝

فصل

واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان
فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا

التوحيد

التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة
الانبياء من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل
العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق
وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير
في التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على
ذلك من الكافة والجمهور قايل بانهم معصومون من ذلك من قبل
الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال
لا قدرة لهم على المعاصي اصلا ۝ واما الصغاير فجوزها جماعة
من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري
وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا
به ۝ وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها
منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين ۝ وذهبت طايفة
اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير
كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من
الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي
الله تعالى به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغيرة بالاضافة الى ما هو
اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يوجب كونه كبيرة قال
القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة
الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع
ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشيئة في

لئلا

يجب صح

العفو عنها إلى الله تعالى وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة
الأشعرية وكثير من أئمة الفقهاء وقال بعض أصحابنا لا يجب على القول الذين
أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ ما
يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة
وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا أيضا
مما يعصم عنه الأنبياء إجماعا لأن مثل هذا يحط منصبه المتسم به
ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك
بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى مثله لخروجه بما أدى
إليه عن اسم المباح إلى الحظر وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من
مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم
من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم واتباع آثارهم وسيرهم
مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي
وأبي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وإن اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك رضي الله
عنه التزام ذلك وجوبا وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر
أصحابنا وقول أكثر أهل العراق وابن سريج والإصطخري وابن
خيران من الشافعية وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب وذهبت
طائفة إلى الإباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية
وعلم به مقصد القربة ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد قال
فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم إذ
ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة

أو الحظر

أو الحظر أو المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية
لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من
الأصوليين ونزيد هذا حجة بأن نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على أنه لا يقر على
منكر من قول أو فعل وأنه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه
وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز
وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة
المكروه كما قيل إذ الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي
الزجر والنهي عن فعل المكروه وأيضا فقد علم من دين
الصحابة قطعا الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت
وفي كل فن كالاقتداء بأقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ
خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع صلى الله تعالى عليه وسلم واحتجاجهم
برؤية ابن عمر إياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة أو العادة
بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله
عليه وسلم هلا خبرتيها أني أقبل وأنا صائم وقالت عائشة
رضي الله عنها محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وغضب عليه السلام على الذي أخبر بمثل هذا عنه فقال
يحل الله لرسوله ما يشاء وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم
بحدوده والآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه يعلم
من مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزنا

عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثه
عن ذلك ولما أنكر صلى الله عليه وسلم على الآخر قوله واعتذاره
بما ذكرناه ◦ وأما المباحات فجائز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح
بل هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها
إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة
لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على
سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على
هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول
الكتاب طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر أنبيائه عليهم السلام بأن
جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم
المعصية ◦ فصل ◦ وقد اختلف في عصمتهم
من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح
إن شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل
ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن المعاصي
والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع ◦ وقد اختلف الناس في
حال نبينا عليه السلام قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع
قبله أم لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور
فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ
إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر

الشريعة

الشريعة ◦ ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف
السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك
النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان ذلك
لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم
أمره وأولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك
الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة
وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك عقلا قالوا لأنه يبعد أن
يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح
وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما
تقدم للقاضي أبي بكر أولى وأظهر ◦ وقالت فرقة أخرى
بالوقف في أمره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في
ذلك إذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في
أحدهما طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي ◦ وقالت فرقة
ثالثة إنه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين
ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن تعيينه وأحجم وجسر بعضهم
على التعيين وصمم ◦ ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع
فقيل نوح ◦ وقيل إبراهيم ◦ وقيل موسى ◦ وقيل عيسى صلوات
الله عليهم ◦ فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والأظهر فيها ما
ذهب إليه القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو
كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة
لهم في أن عيسى عليه السلام آخر الأنبياء فلزمت شريعته من

جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي
دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للآخر
في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا للآخرين في قوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الآية على اتباعهم
في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد
سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه
كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول
وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرايعهم مختلفة لا يمكن
الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى ٥ وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في
ساير الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم او يخالفون بينهم ٥ اما من
منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من
مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف
فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق
حجته في كل نبي

فصل

هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من
الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما
ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه ا
فاحوال الانبياء عليهم السلام في ترك المواخذة به وكونه ليس
بمعصية لهم مع اممهم سواء ٥ ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ
وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم

باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه
عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد
ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته
من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا
الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول
من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب
التشكيك ويسبب المطاعن ٥ واعتذروا عن احاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب
الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية
والاحكام الشرعية سهوا او عن غير قصد منه جايز عليه كما
تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين
الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك تناقضها ٥ واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح
في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر
كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب
افادة علم وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لانسى او انسى
لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة
زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص
واغراض الطعن فان القايلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل
عليهم السلام لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون

حكمة بالفوات على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته ۵ وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى ۵

فصل

في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم ۵ قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه ۵ والصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث

حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله تعالى عز وجل فيه ليستن به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال وشرطه أنه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم إني لأنسى أو أنسى لأسن ۵ قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله ۵ قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قاله أن يريد أني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة

ابن نافع هذا اسمه عبد الله بن نافع مولى ابن عمر ابن نافع اثنان عبد الله بن ابي ... يعرف بالزبيري الفقيه صاحب مالك يعرف بابن نافع الأصغر وله [illegible] اسمه عبد الله يعرف بالأكبر من أهل الفضل رحمهما الله

عنها

ما في الصلاة شغله بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الأخرى
إني لا أنسى ه وذهبت طايفة إلى منع هذا كله عنه وقالوا إن سهوه
صلى الله عليه وسلم كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه
متناقض المقاصد لا يحلى منه بطايل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال ولا حجة لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة النسيان ليسن
لقوله إني لا أنسى أو أنسى وقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة
التعمد والقصد ه وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ه وقد
مال إلى هذا عظيم من المحققين من أيمتنا وهو أبو المظفر الإسفرايني
ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه ولا حجة لهاتين الطايفتين
في قوله عليه السلام إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس فيه نفي حكم
النسيان بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بيس
ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي أو نفي الغفلة
وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها
ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز
من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل إن الذي ترك
يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه
احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلاة في الخوف إذا لم يتمكن من
أدايها إلى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين والصحيح أن حكم
صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له ه فإن قلت فما تقول في
نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة يوم الوادي وقد قال إن عيني
تنامان ولا ينام قلبي فاعلم أن للعلماء عن ذلك أجوبة منها أن المراد

بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات وقد يندر
منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل
قوله في الحديث نفسه إن الله قبض أرواحنا وقول بلال فيه ما
ألقيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر
يريده من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع وكما قال في
الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم
ه الثاني أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه
لما روي أنه كان محروسا وأنه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع
غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه
وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج
به على وضوءه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث
آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه
ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه
يوحى إليه في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم إن
الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا فإن قيل
فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح
فقيل في الجواب أنه كان من شأنه صلى الله عليه وسلم التغليس
بالصبح ومراعاة أول الفجر لا تصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك
بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل
بشغل غير النوم عن مراعاته فإن قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه

بلغ

وسلم عن القول نسيت وقد قال عليه السلام إني أنسى كما تنسون
فإذا نسيت فذكروني ولقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها
فاعلموا أكرمكم الله أنه لا تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال
نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا
لم تكن منه ولكن الله اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان
من سهو أو غفلة من قبله تذكرها صلح أن يقال فيه أنسي وقد قيل
إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل
إلى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه وإسقاطه
عليه السلام لما أسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما
أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من أمته أو من قبل
نفسه إلا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز
أن ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل
خللا في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله عز وجل
كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على من أجاز
عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك ٥ اعلم أن
المجوزين للصغائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم
على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة
من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز
الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا
به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه

بلغ

وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن
مذهبهم إجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على
خطإ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير إلى ما صح وها نحن
نأخذ في النظر فيها إن شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ٥
وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ٥ وقوله تعالى ووضعنا
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ٥ وقوله تعالى عفا الله عنك لم
أذنت لهم ٥ وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
عظيم ٥ وقوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية وما
قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى ٥ وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية ٥ وقوله
عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ٥ وقوله تعالى عن يونس سبحانك إني كنت
من الظالمين وما ذكره من قصته وقصة داود ٥ وقوله وظن
داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب إلى قوله مآب
٥ وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع
إخوته ٥ وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان ٥ وقول النبي عليه السلام في دعائه
اللهم اغفر لي ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت ونحوه من
أدعيته عليه السلام وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث
الشفاعة ٥ وقوله صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر
الله وفي حديث أبي هريرة عنه إني لأستغفر الله وأتوب إليه

في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي
وترحمني الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا
إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم والذي أطمع أن يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقوله تعالى عن موسى تبت إليك وقوله تعالى
ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه هذه الظواهر فأما احتجاجهم
بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ٥
فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل
النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع
أعلمه أنه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر
عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر وقيل المراد بذلك أمته
عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه
الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما
تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله
والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
وقال مكي مخاطبة النبي عليه السلام هاهنا هي مخاطبة لأمته
وقد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري
ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وبمآل المؤمنين في الآية
الأخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية أنك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب أن لو كان ٥ قال بعضهم المغفرة هاهنا
تبرئة من العيوب ٥ وأما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي

تبرئة

بلغ مقابلة على اصل صحيح
الطاقة فصح لله الحمد

أنقض

أنقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو
قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة ٥ وقيل معناه
أنه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره حكى
معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء
الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي ٥ وقيل حططنا
عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل معناه وخففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى أنقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على
من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا
وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون الوضع عصمة الله تعالى له
وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره أو يكون من ثقل
الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه ٥ وأما قوله تعالى
عفا الله عنك لم أذنت لهم فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية
بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال
نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا
وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى

تك

بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج
عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه
وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي
لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وإنما يقول العفو لا يكون
إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك
أي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي أنها تكرمة ه وقال
مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي
أن معناه عافاك الله وأما قوله في أسارى بدر ما كان لنبي أن
يكون له أسرى الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه
وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء فكأنه
قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام أحلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي ه فإن قيل فما معنى قوله تعالى تريدون عرض
الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن أراد ذلك منهم وتجرد غرضه
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى
الله عليه وسلم ولا علية أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها
نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب
وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أن يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق واختلف
المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا أنه سبق مني
أني لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر
الأسرى معصية وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب

السابق

بلغ

السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت
لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى ه وقيل لولا أنه سبق
في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي
الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم
بدر فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا القتل وإن شاءوا
الفداء على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا
دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه ولكن بعضهم
مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل
فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار
غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين وإلى نحو هذا أشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما
نجا منه إلا عمر إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بأخذه
في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو
استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لأنه أول من
أشار بقتلهم ولكن الله تعالى لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم
فيما سبق ه وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز
أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل
من نص ولا جعل الأمر إليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك

وتبين

القضية

وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء وقد
كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها
ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم
وذلك قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله يدل على أن فعل
النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسرى كان على تأويل
وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عز وجل عليهم
لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم
إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من
حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار وتذنيب هذا معنى
كلامه ۝ وأما قوله تعالى عبس وتولى الآيات فليس فيه
إثبات ذنب له عليه السلام بل إعلام الله تعالى أن ذلك المتصدى
له ممن لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك حال
الرجلين الإقبال على الأعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما
فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه
واستئلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية ولا مخالفة له
وما قصه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر
الكافر عنده والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله وما عليك أن لا
يزكى ۝ وقيل المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام ۝ وأما قصة آدم عليه السلام وقوله
تعالى فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين

وقوله

۝ وقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية
بقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فإن الله
تعالى قد أخبر بعذره بقوله سبحانه ولقد عهدنا إلى آدم من
قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة إبليس
له وما عهد الله تعالى إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك
الآية قيل نسي ذلك بما أظهر لهما ۝ وقال ابن عباس إنما سمي
الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين
وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله حانثا ۝ وقد روي عذر آدم
بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى
غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك
قال تعالى ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وأكثر
المفسرين على أن العزم هاهنا الحزم والصبر وقيل كان
عند أكله سكران وهذا فيه ضعف لأن الله تعالى وصف
خمر الجنة أنها لا تسكر فإذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك
إن كان ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي
عن حكم التكليف وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره إنه
يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر
أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل أكلها متأولا
وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن

بشجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من
تركه التحفظ لا من نيل المنهي وقيل تأول أن الله لم ينههما عنها
نهي تحريم فإن قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى وقال فتاب عليه وهدى وقوله في حديث
الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت
فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملاً آخر الفصل إن شاء
الله تعالى ● وأما قصة يونس عليه السلام فقد مضى الكلام
على بعضها آنفاً وليس في قصة يونس نص على ذنب وإنما فيه
أبق وذهب مغاضباً وقد تكلمنا عليه ● وقيل إنما نقم الله
عليه خروجه عن قومه فاراً من نزول العذاب وقيل
بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم
بوجه كذاب أبداً ● وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف
ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة وقد تقدم الكلام
أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على
قول مرغوب عنه ● وقوله أبق إلى الفلك المشحون قال
المفسرون تباعد وأما قوله إني كنت من الظالمين فالظلم
وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه
فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه
عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك
قومه فلم يؤاخذ ● وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن
الظلم وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ● ومثل هذا

قوله

قوله آدم وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب في وضعهما غير
الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما من الجنة وإنزالهما إلى الأرض
● وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره
فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله
بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد
في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود أنما فتناه
إلى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه أي اختبرناه
● وأواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس
وابن مسعود ما زاد داود على أن قال للرجل أنزل لي عن امرأتك
وأكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله
بالدنيا ● وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها
على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد ● وحكى السمرقندي
أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك
فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشي على نفسه وظن من
الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا ● وإلى نفي ما أضيف في الأخبار
إلى داود عليه السلام من ذلك ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام
وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود
وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل إن
الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية
● وأما قصة يوسف عليه السلام وإخوته فليس على يوسف منها
تعقب وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم

ويعدهم

وذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء ۝ قال المفسرون
يريد من نبئ من أبناء الأسباط وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا
بيوسف ما فعلوا أصغار الأسنان ولهذا لم يميز يوسف حين
اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإن ثبتت
لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم ۝ وأما قوله تعالى ولقد همت
به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء
والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله
عليه وسلم عن ربه عز وجل إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت
له حسنة فلا معصية في همه إذا ۝ وأما على مذهب المحققين
من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت عليه النفس سيئة وأما
ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا
هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما
أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه
على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ
فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم
وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى
برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
وقال وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي
أحسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها
أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي غمها امتناعه عنها وقيل هم

بها

بها نظر إليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته
وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه
الله تعالى فألقى الله تعالى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه
عن حسنه ۝ وأما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله
تعالى على أنه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون
ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى ۝ وقال قتادة وكزه
بالعصى ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك ۝ وقوله هذا
من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال
ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر ۝ وقال النقاش
لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه
قال وقد قيل إن هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله
تعالى في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في
هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل إلقاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه أخلصناك إخلاصا قاله ابن جبير
ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها وأصل الفتنة
معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع
في اختبار أدى إلى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من
أن ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم
على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين
الوجه جائز الفعل لأن موسى عليه السلام دافع عن نفسه
من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن

كانوا

خلصنا

أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى
ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله
تعالى فلما جاءه بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم ۝ وللمتقدمين
والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل
شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام
مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف ۝ وأما قصة سليمان
عليه السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد
فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع
وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه
قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت
بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله ۝ قال أصحاب المعاني والشق
هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته
ومحنته ۝ وقيل بل مات فألقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه
حرصه على ذلك وتمنيه ۝ وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني ۝ وقيل عقوبته أن سلب ملكه
وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم ۝ وقيل
أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون
من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور

في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء
من مثله وإن سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة إن شاء
الله فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن
يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم
يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده
في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه
الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك
وقيل بل أراد أن يكون له من الله عز وجل فضيلة وخاصة
يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه
وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد
لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة ونحو هذا ۝ وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر
وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك فطلب
مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك
في وعد الله فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم
لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين
ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب
عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له
في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم
بكفر ابنه ۝ وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على

نوح عليه السلام بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه
بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في
الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى
الله تعالى إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح
فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه
مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح
الله ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة
تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله إليه
ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي
كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر فعله إنما
كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع
مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا
أمر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما أوحى الله تعالى إليه بذلك
ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم. فإن قيل فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن
زكرياء أو كما قال صلى الله عليه وسلم فالجواب عنه كما تقدم من
ذنوب الأنبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة

فصل

فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم
الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل
المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما
تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم

بلغ

وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم وهل
يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقك الله أن
درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في
عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه
جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم
وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أوخذوا
عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها
على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة
خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم
ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعا
فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل
شيء أي آخره وأذناب الناس رذالتهم فكأن هذه أدنى
أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفي والخشية لله وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم
يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالإضافة
إليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار
سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت
من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل
أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ

صنيعهم

هذا

هم

ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا يوسف عليه السلام
قد أوخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقيل أنسي يوسف
ذكر الله وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك قال النبي صلى
الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن
دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى ٥ وقال بعضهم
يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر
الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب ٥
قال
وقال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء
يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما
ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذن في هذا أسوأ حالا من غيرهم
فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة
غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك
زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا
لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ٥
وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت
إليك إني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان
وإنابته فسخرنا له الريح إلى قوله وحسن مآب وقال بعض المتكلمين
زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف
وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن

ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا
المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن
بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم
ولهذا قال صالح المري ذكر داود عليه السلام بسطة للتوابين ٥
قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا
له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وأيضا فيقال لهم فإنكم
ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف
بعصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي
مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء
وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله
عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام
وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر أفلا أكون عبدا شكورا
وقال إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحرث بن أسد خوف
الملائكة والأنبياء خوف إعظام وتعبد لله تعالى لأنهم آمنون
٥ وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم أممهم كما قال
عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وأيضا
فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء
وهو استدعاء محبة الله تعالى قال الله عز وجل إن الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين فإحداث الرسل والأنبياء عليهم السلام الاستغفا

والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى
والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره
إنه كان توابا

فصل قد استبان لك أيها الناظر بما قررنا
ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله تعالى وصفاته
أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة
عقلا وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من أمور
الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته
عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله تعالى وأرسله قصدا
أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا
وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار
الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته
من رضا وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى
الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صورة أحكامه
لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما
لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة
الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز

عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على
الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية
فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا
فتهلكا هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في
هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى
أن الكلام فيها جملة من فضول العلم وأن السكوت أولى وقد
استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية
يضطر إليها في أصول الفقه ويبتنى عليها مسائل لا تنعد من
الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها
وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو
باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على
صدق النبي صلى الله عليه وسلم في إخباره وبلاغه وأنه لا
يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا
وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة
ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف
ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم
في الفتيا في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح
فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقا أو يضيع

حرمة للنبي عليه السلام وللتبليغ هذا ما قد اختلف أرباب الاصول
وأيمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة عليهم السلام

فصل

في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون
فضلاء واتفق أيمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين
سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء
والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم ۵ واختلفوا في غير المرسلين منهم
فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا
له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن
عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله تعالى ان
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله كرام بررة
وقوله لا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات ۵ وذهبت طائفة
الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها
اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه
فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن
جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ۵ ورأيت
بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم
وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من
الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال
فهي ساقطة ها هنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة
هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين

وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم
اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس
والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال
بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب
اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى اول الايات من افترائهم بذلك
على سليمان عليه السلام وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع
عظيمة ۵ وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات
ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان
وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين
وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة
فاكثر المفسرين على ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر
وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله (علمه)
تعالى اخبارا عنهما انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم
انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق
بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا فانه سحر فلا تكفروا ۵ فعلى
هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي
لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما
عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل
عليهما ۵ فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر

الذي قد ذكر غيره أنهما مأذون لهما في تعليمه بشرط أن يبينا
أنه كفر وأنه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر
المعاصي والكفر المذكورة في تلك الأخبار وقول خالد لم ينزل
يريد أن ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام
وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم
في ذلك اليهود. وما أنزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل وميكا
ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فأكذبهم الله تعالى
في ذلك فقال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن
هاروت وماروت علجان من أهل بابل وقرأ وما أنزل على
الملكين بكسر اللام وتكون ما إيجابا على هذا وكذلك قراءة عبد
الرحمن بن أبزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان
وتكون ما نفيا على ما تقدم. وقيل كانا ملكين من بني إسرائيل
فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل
الآية على تقدير أبي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب
الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى بأنهم
مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما أمرهم. ومما يذكرونه
قصة إبليس وأنه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة
إلى آخر ما حكوه وأنه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا إلا إبليس
. وهذا أيضا لم يتفق عليه بل الأكثر ينفون ذلك وأنه أبو
الجن كما آدم أبو الإنس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال

بلغ مقابلة على أصل حسب الطاقة فصح ...

شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض
حين أفسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب
سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم إلا اتباع الظن. ومما
رووه من الأخبار أن خلقا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا
وأمروا أن يسجدوا لآدم فأبوا فحرقوا ثم آخرون كذلك
حتى سجد له من ذكر الله إلا إبليس في أخبار لا أصل لها تردها
صحاح الأخبار فلا نشتغل بها.

الباب الثاني

فيما يخصهم في الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من
العوارض البشرية قد قدمنا أنه عليه السلام وسائر الأنبياء والرسل
من البشر وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات
والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على
البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة
إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى
على أهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير. فقد مرض عليه السلام واشتكى
وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط
فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر
وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى
الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها وأصاب غيره من

بلغ

ضافة

الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير
ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه الله
كما عصم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس فلئن لم يكف نبينا
ربه عز وجل يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون
عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش
عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي
جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد
وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى
ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات
ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية
لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن
اليهم. قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة
البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة
غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة
لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم. قال وقد قال عليه السلام ان
عيني تنامان ولا ينام قلبي. وقال اني لست كهيئتكم اني
ابيت يطعمني ربي ويسقيني. وقال لست انسى ولكن انسى
ليستن بي. فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه

وظاهره

وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر
ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن
لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام
في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار
انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما
ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت
قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه
لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب
ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض
منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من
البشر مما نأخذ بعد في بيانه.

فصل

فان قلت فقد
جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو
محمد العتابي بقراءتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي
بن خلف ثنا محمد بن احمد قال ثنا محمد بن يوسف قال ثنا البخاري
ثنا عبيد بن اسماعيل ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله. وفي رواية اخرى
حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث
واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى
الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم

وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها
إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله سبحانه الشرع والنبي
صلى الله عليه وسلم عما يدخل في أمره لبساً وإنما السحر مرض من
الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا
ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل
الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه
أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته
من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم
يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات
كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة
له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضاً فقد فسر هذا الفصل الحديث
الآخر من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد
قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر
منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم
يفعله وإنما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل إن المراد بالحديث
أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد
صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة
هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع
ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بياناً من تلويحاتهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى

وأبعد

وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو
أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة
بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا
فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن
يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا
هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه
الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره وروى محمد بن سعد
عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء
والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان
لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره
وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه
ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي
يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا
دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري
من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله
وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية
الأخرى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل

من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يتخيل لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا ۝

فصل

هذه حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر ثنا أبو العباس الرازي ثنا أبو أحمد ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا مسلم قال حدثنا عبد الله ابن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا أبو النجاشي ثنا رافع ابن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر ۝ وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ۝ وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي

فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب ۝ وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها ۝ وكما حكى ابن إسحق أنه عليه السلام لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى له وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب ۝

فصل

وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية

على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من
المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام إنما أنا بشر وإنكم
تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض
فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء
فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار. أخبرنا الفقيه
أبو الوليد رحمه الله قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر
قال ثنا أبو محمد ثنا أبو بكر ثنا أبو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان
عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم
سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي
رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض
فأحسب أنه صادق فأقضي له وتجري أحكامه عليه السلام على
الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف
ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة
الله في ذلك فإنه تعالى لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت
ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة
إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله تعالى أمته
باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره وكان
هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى
الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد
في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو إذا في
ذلك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا

مالا

ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله عز وجل أحكامه على ظواهرهم
التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به
في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على
علم ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع
لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى
في البيان وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر
والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر
عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي
استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من
رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته
ولا يفصم عروة من عصمته.

فصل

وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله
فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من
عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضا أو غضب وأنه معصوم منه
صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب. فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها
منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه
مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره. وكما روي من ممازحته
ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله
للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض وهذا كله

صدق فإن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض وقد قال
عليه السلام إني لأمزح ولا أقول إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر وأما
ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية
فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا
عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي أن تكون
له خائنة الأعين فكيف أن تكون له خيانة قلب فإن قلت فما معنى إذا
قوله تعالى في قصة زيد وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه
أمسك عليك زوجك الآية ٥ فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها
وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في
هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين أن الله تعالى كان
أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما
شكاها إليه زيد قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى
منه في نفسه ما أعلمه الله تعالى به من أنه سيتزوجها مما الله
مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه
عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم يعلمه أن الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي
أخفى في نفسه ٥ ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد
هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها ويوضح هذا
أن الله تعالى لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي
أخفاه عليه السلام مما كان أعلمه به تعالى ٥ وقوله تعالى في القصة

ما كان

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل
أنه لم يكن عليه حرج في الأمر ٥ قال الطبري ما كان الله ليؤثم
نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة
الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل لهم ولو كان
على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى
الله عليه وسلم عندما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم
الحرج وما لا يليق به من مد عينيه إلى ما نهي عنه من زهرة
الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه
ولا يتسم به الأتقياء فكيف سيد الأنبياء ٥ قال القشيري وهذا
إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها
منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو
زوجها لزيد وإنما جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج النبي
صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما
قال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ونحوه لابن فورك ٥ وقال
أبو الليث السمرقندي فإن قيل فما الفائدة في أمر النبي صلى الله
عليه وسلم لزيد بإمساكها فهو أن الله أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه
النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها إذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى
في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة
ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته كما قال تعالى

لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقد قيل
كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها
وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا
نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا بإمساكها وإنما تنكر
تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والأولى ما ذكرناه عن
علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء
وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول أبو بكر ابن
فورك وقال إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير
قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في
ذلك وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك
بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال
ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ قال
وليس معنى الخشية هنا الخوف وإنما معناه الاستحياء أي
يستحيي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه وأن خشيته عليه السلام
من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على
المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل
الأبناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم
فيما أحله له كما عتبه على مراعاة أزواجه في سورة التحريم
بقوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله
له ههنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي

عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه

فصل فإن قلت فقد تقررت عصمته عليه السلام
في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب
في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا
ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي
حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال ثنا القاضي أبو
الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحق قالوا ثنا محمد
بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا
عبد الرزاق قال ثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب
لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا
لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني
فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه فقال إن النبي صلى
الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا
وفيه فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع
وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية
واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب
لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر

بلغ

قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم
من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك
ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو
اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في هذا
الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا
أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار
على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع
الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن
ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق
وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه
رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر
أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة
لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه
وهول المقام الذي اختلف عليه فيه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى
لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا
أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله
يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا وأما على رواية
أهجرا وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن
جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين
عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من
القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء
في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن
يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم
إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن
قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر
رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما
اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر
ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه
وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه
مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع
وقيل خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في
الحرج بالمخالفة ورأى أن الرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد
وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم
عمر رضي الله عنه تقرر الشريعة وتأسيس الملة وأن الله تعالى
قال اليوم أكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام أوصيكم بكتاب الله
وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل أن عمر رضي الله عنه خشي
تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب
في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية
وغير ذلك وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على

خ الأرفق
خ الشرع
صح ملحق في الأم بخطه من غير الرواية

طريق المشورة والاختيار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا
تركه وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه
منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها
واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي رضي الله عنهما انطلق
بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة
علي وقوله والله لا أفعل الحديث ◦ واستدل بقوله دعوني فإن الذي
أنا فيه أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن
تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده
وتعيين ذلك ◦

فصل

فإن قلت فما وجه حديثه أيضا
الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه قال ثنا أبو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا إبراهيم بن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم
مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني
قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته
أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة
◦ وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة ◦ وفي رواية ليس لها
بأهل ◦ وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته
أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة ◦ وكيف يصح أن يلعن
النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق

قيل

السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله ◦ فاعلم شرح الله صدرك أن قوله أولا
ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه السلام
على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام
بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم
دعا عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله عز وجل بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا عليه
دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها
بأهل لا أنه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر أن يفعل
مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من
قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل
يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته
أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير
بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل أنه خرج مخرج الإشفاق
وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله عز وجل
وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد
في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة
العرب وليس المراد بها الإجابة كقوله تربت يمينك ولا أشبع
الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد
في صفته في غير حديث أنه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال
أنس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول

ق

لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا
المعنى ثم أشفق عليه السلام من موافقة أمثالها إجابة فعاهد
ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة
وقربة ۝ وقد يكون ذلك إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا
يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه
وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط ۝ وقد يكون
ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه صحيح أن
يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية لما اجترم وأن تكون عقوبته
له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب
من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة فإن قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الأنصاري في
شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الأنصاري
أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث
فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عن أن يقع بنفس مسلم
منه في هذه القصة أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير
أولا إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم
يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار
الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه ۝ وقد جعل

المسلمون هذا الحديث أصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي
القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء
لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما
كان لله عز وجل لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث
في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في
الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا أدري
أعمدا أم أردت ضرب الناقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك
يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه
الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي
قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث
مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع
أدب لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا
عنه وأما حديث سواد بن عمرو قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب
في يده في بطني فأوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي
عن بطنه إنما ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله
لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده
طلب التحلل منه على ما قدمناه ۝

فصل

وأما أفعاله

عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قد
ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير
قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله على
السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيّنا إذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته وما
يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف
يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد
أو قهر معاند أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم
في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب
اختلاف الأحوال ويعد للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قربت
الحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على
الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك
يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية
لخلاف فيها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا
وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له
الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه
التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم مؤالفة
لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس
إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد

بلغ مقابلة على أصل صاحب الطائفة
صحح ... السلطان

إبراهيم

إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم
لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث
الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى مياه
بدر إلى أقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما
استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء
استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس من اتقاه الناس
لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين ربه ويتولى
في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى
لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون
منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان
لنبي أن تكون له خائنة الأعين فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام
لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل
ألان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر
الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن
ويقول في ظهره ما قال فالجواب أن فعله عليه السلام كان
استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام
بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام ومثل
هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا إلى السياسة

الدنيئة وقد كان يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة قال صفوان لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني
حتى صار أحب الخلق إلي ه وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو
غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله
ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ه
ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن غيبة بل كان جائزا
بل واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين
في الشهود فإن قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله
صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها
إلا أن يكون لهم الولاء فقال لها صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطي
لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله تعالى كل شرط ليس في كتاب الله
فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه
باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل
حتى شرطوا ذلك عليها ثم أبطله عليه السلام وهو قد حرم الغش
والخديعة فاعلم أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه
عما يقع ببال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء
إذ ليست في أكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها إذ تقع لهم بمعنى
عليهم قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة وقال تعالى وإن أسأتم
فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل
ذلك وجه ثان أن قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على
معنى الأمر لكن على معنى التسوية والإعلام بأن شرطه لهم لا
ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن الولاء لمن
أعتق فكأنه قال اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع وإلى
هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم
وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا ه الوجه الثالث
أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء أي أظهري
لهم حكمه وبيني عندهم سنته أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم
بعد هذا قام صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة
ما تقدم منه فيه ه فإن قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام
بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقتها وما جرى
على إخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف عليه السلام
كان عن أمر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه
في دين الملك إلا أن يشاء الله الآية فإذا كان ذلك فلا اعتراض
به كان فيه ما فيه وأيضا فإن يوسف عليه السلام كان أعلم أخاه
بأني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فكان ما جرى عليه بعد
هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة
السوء والمضرة عنه بذلك ه وأما قوله أيتها العير إنكم لسارقون
فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله

بلغ

إن حسن له التأويل كما بينا من كان ظن على صورة الحال ذلك ٥
وقد قيل قال ذلك لغلبتهم قبل بيوسف وتبعهم له وقيل غير
هذا ولا يلزم أن يعوق الأنبياء ما لم يأت أنبيهم قالوه حتى
يطلب الخلاص منه ولا يلزم الإعتذار عن زلات غيرهم ٥

فصل فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها
عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما
ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وإبراهيم
ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه وأحباؤه
وأصفياؤه ٥ فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى
كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي
عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم أحسن
عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ٥ فامتحانه
إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم
وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم
والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيدا
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين فيتسلوا
في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو الهنات
فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين
مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل

٥ حدثنا القاضي أبو علي الحافظ ثنا أبو الحسين الصيرفي
وأبو الفضل بن خيرون قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا
أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى الترمذي
ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن
سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء
قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض
ما عليه خطيئة وكما قال الله تعالى وكأين من نبي قاتل معه
ربيون كثير الآيات الثلاث ٥ وعن أبي هريرة ما يزال
البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى
خطيئة ٥ وعن أنس عنه عليه السلام إذا أراد الله بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك
عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ٥ وفي حديث آخر إذا أحب
الله عبده ابتلاه ليسمع تضرعه ٥ وحكى السمرقندي أن كل من
كان أكرم على الله تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب
الثواب كما روي عن لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران
بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان
سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف نائم محبة له ٥ وقيل بل
اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما يضحكان
وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له
عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب

وما عليه صح

أي ولد الشاة وهو الخروف ٥

يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بعده حياته يأمر مناديا ينادي
على سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف
بالمحنة التي نص الله عليها ۝ وروي عن الليث أن سبب بلاء أيوب
عليه السلام أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه
وأغلظوا له إلا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى
ببلائه ۝ ومحنة سليمان عليه السلام لما ذكرنا من نيته في كون
الحق في جنبة أصهاره أو للتعمد بالمعصية في داره ولا علم عنده
وهذه أيضا فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم
قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت الوجع على أحد أشد منه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وعن عبد الله قال رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت إنك
لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان
منكم قلت ذلك أن لك الأجر مرتين قال أجل ذلك كذلك
وفي حديث أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة حماك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن
النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن
كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن أنس عنه صلى
الله عليه وسلم قال إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله عز
وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط

كان

فله

فله السخط ۝ وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز
به أن المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة ۝ وروي
هذا عن عائشة وأبي ومجاهد وقال أبو هريرة عنه عليه السلام
من يرد الله به خيرا يصب منه ۝ وقال في رواية عائشة ما من
مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها
وقال في رواية أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب
ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله
بها من خطاياه ۝ وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه
أذى إلا حات الله خطاياه عنه كما تحت ورق الشجر وحكمة
أخرى أودعها الله تعالى في الأمراض لأجسامهم وتعاقب
الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم
فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة
السكرات لتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف
موت الفجأة وأخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى
في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام
مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية
أبي هريرة من حيث أتتها الريح تكفأها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك
المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى
يقصمها الله ۝ معناه أن المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والأمراض
راض بتصريفه بين أقدار الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب
برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح

ويأمل لها لهبوبها وتزيحها من حيث ما أتتها فإذا أزاح الله تعالى
عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع
عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع
بلايه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا أمره ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدم من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر
بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة الصماء
حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة وأخذه بغتة من
غير لطف ولا رفق وكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه
مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة
أشد كانجعاف الأرزة وكما قال تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله عز وجل في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا
بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة
الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على
غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجأة ۞ ومنه
في حديث إبراهيم كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب
يريد موت الفجأة ۞ وحكمة ثالثة أن الأمراض نذير الممات وبقدر
شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من أصابته وعلم
تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد
ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من

من قبل الله تعالى ومن قبل العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر
فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده ۞ وهذا نبينا صلى الله
عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل
في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه
وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل
وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار
عيبته ودعا إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص
على الخلافة فذا والله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا
۞ وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين وهذا كله يحرمه
غالبا الكفار لإملاء الله تعالى لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث
لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم
يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ۞ ولذلك
قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه على غضب
المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذة
أسف للكافر أو الفاجر وذلك لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا
مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته
من نصب الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه
۞ ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات
منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع
أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله

نصار

مات

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام

فيمن تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم. قال القاضي الفقيه أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه. قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا

هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى أذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله أن ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والا لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله يا نبي الله وقد يدعونه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال وقد روى أنس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل اسمه محمد

ستحباب

ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع ونهى عمر
لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب ألا أرى محمدا عليه السلام
يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء إكراما لهم بذلك
وغير أسماءهم وقال لا تسموا بأسماء الأنبياء ثم أمسك والصواب
جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل إطباق الصحابة على ذلك
وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بأبي القاسم وروي
أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك لعلي رضوان الله
عليه وقد أخبر عليه السلام أن ذلك اسم المهدي وكنيته
وقد سمى به النبي عليه السلام محمد ابن طلحة ومحمد بن عمرو
بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر
أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت
الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الأول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب أو نقص من تعريض أو نص

اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب
النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو
نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه
بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه
أو الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب
يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا
المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من لعنه

أو تمنى مضرة له أو دعا عليه أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على
طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر
ومنكر من القول وزور أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة
عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه
وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان
الله عليهم إلى هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر أجمع عوام أهل
العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال
ذلك مالك ابن أنس والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب الشافعي
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهو مقتضى قول أبي بكر
الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال
أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في
المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن
مالك وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه
صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه وقال سحنون فيمن سبه
ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته
وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء
الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار
وسلف الأمة وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره
وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي ابن أحمد الفارسي إلى
الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن
سحنون أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له

كافر وأبو عبيد جار عليه بغلاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن
شك في كفره وعذابه كفر واحتج إبراهيم بن حسين بن خالد
الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن
النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم ۞ وقال أبو سليمان الخطابي لا
أعلم أن أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما
وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن
القاسم في العتبية أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل وحكمه
عند الأمة القتل كالزنديق وقد فرض الله عز وجل توقيره
وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله
عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام
مخير في صلبه حيا أو قتله ومن رواية أبي المصعب وابن أبي أويس
سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو
شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب ۞ وفي
كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب النبي صلى الله
عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب
وقال أصبغ يقتل على كل حال أسر ذلك أو أظهره ولا
يستتاب لأن توبته لا تعرف ۞ وقال عبد الله بن عبد الحكم من
سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب
۞ وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك وروى ابن وهب

عن مالك من قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى
زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ أراد به عيبه قتل ۞ وقال
بعض علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا على نبي من
الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة وأفتى
أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال
يتيم أبي طالب بالقتل وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع
قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل
قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي
في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد
كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان وقال أحمد
ابن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله
عليه وسلم كان أسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر
كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه
الأول ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال ابن
أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد
في قتله وثواب ذلك ۞ قال حبيب ابن الربيع لأن ادعاءه
التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب إباحة دمه
وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل

وساب النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل ۝ وأفتى فقهاء الأندلس بقتل
ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد به عليه من استخفافه
بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته
باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصدا ولو
قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى فقهاء القيروان
وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرا
متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي
أبي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه أمور منكرة من
هذا الباب في الاستهزاء بالله عز وجل وأنبيائه ونبينا عليه
السلام فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء
وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم أنزل
وأحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت
خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة
فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه
فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
حديثا عنه عليه السلام أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم
۝ وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي
صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه
تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه صلى الله عليه وسلم في خاصته إذ
هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقال حبيب بن
ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه عليه

نسبة الي القيروان

السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه
وسلم بأذى أو نقص معرضا أو مصرحا وإن قل فقتله واجب
وهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله
لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا
في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد ۝ وكذلك أقول
حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان
أو السحر أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه
أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب
العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه ۝

فصل

في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام فمن القرآن
لعنه الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه أذاه تعالى بأذاه
ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وأن اللعن إنما يستوجبه
من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال إن الذين يؤذون الله
ورسوله الآية ۝ وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته
في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا
وقتلوا تقتيلا ۝ وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك
لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى
قتل الخراصون وقاتلهم الله أي لعنهم الله ولأنه فرق بين
أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل

من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله تعالى ونبيه أشد
من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عن من
وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد
ناقض هذا وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعمالكم ولا يحبط العمل إلا
الكفر والكافر يقتل ۝ وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك
بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس
المصير ۝ وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو أذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم
وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى
قوله قد كفرتم بعد إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم
في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الإجماع فقد ذكرناه وأما
الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ
أبي ذر الهروي إجازة قال ثنا أبو الحسن الدارقطني وأبو
عمر بن حيوة قالا ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن
الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن
موسى عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه
عن الحسين بن علي عن أبيه رضوان الله عليهما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب
أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم

بقتل كعب بن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه
يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة
بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله
إياه لغير الإشراك بل للأذى ۝ وكذلك قتل أبا رافع قال
البراء كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين
عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه
اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث آخر أن
رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم
يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن
الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل
الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه ۝
وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط
نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۝ وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه
وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا
فبارزه فقتله الزبير وروى أيضا أن امرأة كانت تسبه عليه
السلام فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد
رضي الله عنه فقتلها وروي أن رجلا كذب على النبي صلى
الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه ۝ وروى ابن

قالوا أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن
لأبي بكر أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله
عليه وسلم فقطع يديها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له
لولا ما فعلت بها لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه
الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها أنا يا رسول
الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح
فيها عنزان وعن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد
تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها ولا تنزجر فلما كان
ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه
فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها
وفي حديث أبي برزة الأسلمي قال كنت يوما جالسا
عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من
المسلمين وحكى القاضي إسمعيل وغير واحد من الأئمة
في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر
وقد أغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله
دعني أضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر
ولم يخالف عليه أحد فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل

بلغ مقابلة على صاحب الطالة (?)

من أغضب

من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه
ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة وقد
استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر إليه
أنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل
الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له أن
فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك رضي الله عنه وقال يا
أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن
شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من أصحاب
مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم أو من لا يوثق بفتواه أو يميل به هواه
أو يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب
أو غير سب أو يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على أصله
وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة
النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير
من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي
وقول الثوري وأبي حنيفة والكوفيين والقول الآخر أنه دليل
على الكفر فيقتل حدا وإن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متماديا

على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله إما صريح كفر
كالتكذيب ونحوه أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك
توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف
قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد إسلامهم قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد
إلا كقول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل وقد قيل إن قائل مثل هذا إن كان مستترا به
أن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه وقد قال عليه السلام
من غير دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في
الحرمة مزية على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة
لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على
غيره

فصل

فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه
وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا
قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله وقد
تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد أوذي موسى
بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في
أكثر الأحيان فاعلم وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان أول الإسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم
إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول لأصحابه إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا منفرين ويقول

يسروا

يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس
أن محمدا يقتل أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار
والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم
ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك أمره الله تعالى فقال سبحانه
وتعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي
أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك
لحاجة الناس للتألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من
يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم ينتظمه قبل سلك صحبته والانخراط
في جملة مظهري الإيمان به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي
رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر صلى الله عليه وسلم دم
جماعة سواهم ككعب ابن زهير وابن الزبعرى وغيرهما
ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنا
مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر وأكثر تلك الكلمات
إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون
عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإ
وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر

ظ

فقيت

سلام

أولوا العزم من الرسل حتى فأكثرهم باطنا كما قا ظاهرا وأخلص
سرا كما أظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب
بعض أيمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده
عليه السلام من أقوالهم ما رفع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة
الشهادة في هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة والدماء لا
تستباح إلا بعدلين وعلى هذا يحمل أمر اليهودي في السلام وأنهم
لووا بألسنتهم ولم يثبتوه ألا ترى كيف نبهت عليه عائشة
رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ۞ ولهذا
نبه النبي صلى الله عليه وسلم على فعلهم أصحابه وقلة صدقهم في
سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال إن
اليهود إذا سلم أحدهم فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك
قال بعض أصحابنا من البغداديين إن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم
فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن الأمر كان سرا وباطنا
وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن كان من أهل الذمة بالعهد
والجوار والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث
من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم
بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين
بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد

وأرجف

وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول
في الإسلام غير واحد وليزعم الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل
إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة ۞ وقد رأيت معنى ما حررته
منسوبا إلى مالك بن أنس رضي الله عنه ولهذا قال عليه السلام لا
يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ۞ وقال أولئك الذين نهاهم
الله عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من
حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها
۞ وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي أبو الحسن ابن القصار وقال
قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية
قال معناه إذا أظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد
ابن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة
ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم
منه الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي
وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى
أنه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه
۞ وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح
سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه

جميع البشر . وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم . قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى . قال القاضي الفقيه أبو الفضل رحمه الله قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم سواء . وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه . ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله تعالى عليهم وأذن له في قتل من حينه منهم وأنزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى . فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي

الله عنها

الله عنها أنه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه فإن هذه من حرمات الله التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره حتى أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه . وقد قال بعض علمائنا إن أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره وأما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح مما يجوز للإنسان فعله وإن تأذى به غيره . واحتج بعموم قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة رضي الله عنها إنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله أبدا . أو يكون هذا مما آذاه به كافر وجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم لهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق .

فصل

تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه صلى الله عليه وسلم والإزراء به وغمصه بأي وجه كان

من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه

الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو تكذيب بما اشتهر من أمور أخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه صلى الله عليه وسلم عن قصد لرد خبره أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وأفتى

نقص

أبو الحسن

أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل

الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره وإن كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل

قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين
فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فانه كالمرتد يستتاب
وكذلك قال فيمن تنبا وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون قال ابن
القاسم دعا الى ذلك سرا او جهارا ه قال اصبغ وهو كالمرتد
لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله عز وجل وقال
اشهب في يهودي تنبا او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد
نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل
وذلك انه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة ه وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
عن الله عز وجل فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي عليه السلام
كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد ابن ابي سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن
عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد وقال لو قال
انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة
قتل لان هذا نفي قال حبيب ابن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق
يقتل دون استتابة ان شا الله تعالى ه

فصل

الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل
يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في
المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد

النظر

النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء
المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه
فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرا الحد
بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه
فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى
عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او
شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من
الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ
ابن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم
يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل
الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها
كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هولاء لاجل
قول الاخر له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فحمل قوله وسبه
لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه ه هذا
معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحرث
ابن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل ه وتوقف
ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان
ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم
البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق

الآن معلوم أنه ليس فيهم نبي من نسل فيكون أمره أخف قال ولكن
ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فذلك من المتقدمين والمتأخرين
وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال قال
ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد
من إنعام النظر فيه هذا معنى كلامه ۝ وحكي عن أبي محمد ابن أبي زيد
رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني إسرائيل ولعن الله
بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أردت الظالمين منهم أن عليه
الأدب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك أفتى فيمن قال لعن الله من
حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر
لباد ولعن من جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله
تعالى ولا سب رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما لعن من حرمه من
الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة ومثل
هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن
ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك أنه
يدخل في مثل هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من الأنبياء
ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر
عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم
أنه قصد سب من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل وقد
يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم
وقال أردت الظالمين منهم أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه

وسلم قولا قبيحا في آبائه أو في نسله أو ولده على علم منه أنه من
ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي
تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه
منهم ۝ وقد رأيت لأبي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك
الله إلى آدم أنه إن ثبت عليه ذلك قتل ۝ وقد كان اختلف شيوخنا
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له
الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحاق ابن جعفر
يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ ۝ وكان القاضي أبو محمد بن منصور
يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبرا عمن
اتهمهم من الكفار ۝ وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج
بنحو من هذا وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه
بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد
عليه وهن ثم أطلقه ۝ وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله ابن عيسى
أيام قضائه أتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه
برجله وقال له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد
عليه لفيف من الناس فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله
وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة
باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه ۝ وقد غير عمر بن الخطاب رضي الله
عنه اسم محمد بن زيد بن الخطاب لمثل هذا وذلك أنه سمع رجلا
اسمه محمد ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن أخيه
محمد ألا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى

محمداً ما دمت حياً وسمّاه عبد الرحمن، ثبت بهم بتغيير أسماء من تسمّى
بأسماء الأنبياء إكراماً لهم لذلك فغيّر منهم أسماء قوم معروفين لم
يترك ذلك إلى ه **فصل** الوجه الخامس أن لا يقصد نقصاً ولا
يذكر عيباً ولا سبّاً لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض
أحواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل
والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبّه به أو عند هضيمة نالته
أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على
مقصد الترفيع لنفسه أو لغيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير
لنبيه عليه السلام أو قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل
إن قيل في السوء قد قيل في النبي وإن كذبت فقد كذب الأنبيا
أو إن أذنبت فقد أذنبوا أو أنا أسلم من ألسنة الناس ولم
يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو قد صبرت كما صبر أولو العزم
من الرسل أو كصبر أيوب أو قد صبر نبي الله صلى الله عليه وسلم من
عداه وحلم على أكثر مما صبرت ه وكقول المتنبي ه أنا في أمة
تداركها الله غريب كصالح في ثمود ه ونحوه من أشعار المتعجرفين
في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري ه
ه كنت موسى وافته بنت شعيب ه غير أن ليس فيكما من فقير ه
على أن آخر البيت شديد وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي
عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله ه
ه لولا انقطاع الوحي بعد محمد ه قلنا محمد من أبيه بديل ه
ه هو مثله في الفضل إلا أنه ه لم يأته برسالة جبريل ه

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي
في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين أحدهما
أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه أشد
ونحو منه قول الآخر ه
ه وإذا ما رفعت راياته ه صفقت بين جناحي جبرين ه
وقول الآخر من أهل العصر ه فرّ من الخلد واستجار بنا فصبّر الله قلب رضوا
وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد
المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون ه
ه كأن أبا بكر أبو بكر الرضا ه وحسان حسان وأنت محمد ه
إلى مثل هذا وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف
أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك
واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر
وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله
عظيم لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحاً وللسانه تسريحاً
ابن هاني الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من
كلامهما إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا
عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فا
هذه كلها وإن لم تتضمن سباً ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء
نقصاً ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراء
وغضاً فما وقّر النبوة ولا عظّم الرسالة ولا عزّر حرمة
الاصطفاء ولا عزّز حظوة الكرامة حتى شبّه من شبّه في كرامة

نالها أو معرة قصد الانتقاص منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو
إغلاق في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
وألزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت
عنده فحق هذا إن درئ عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره
بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو
ندوره وقرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد على أبي نواس
قوله * فإن يك باقي سحر فرعون فيكم * فإن عصا موسى بكف خصيب *
وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه عن
عسكره من ليلته وذكر القتيبي أن مما أخذ عليه أيضا وكفر به أو قارب
قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم * * *
* تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها * خلقا وخلقا كما قد الشراكان *
وقد أنكروا عليه أيضا قوله * كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره *
لأن حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن
يضاف إليه ولا يضاف فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا
على هذا المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله تعالى
وأصحابه ففي النوادر من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عير
رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه
أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا
قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا

كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي صلى الله
عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي
أبدا وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند
التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما
أمرنا الله عز وجل * وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح
كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال
أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي
أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه
لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير
والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما
السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
* قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عند
ما أنكر من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب
بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه
في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب
غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا
ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان
أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك
ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له اسكت فإنك أمي فقال الشاب
أليس كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا فشنع عليه مقاله وكفره

للسب

في

الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو
الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه
وسلم أميًّا آية له وكون هذا أميًّا نقيصة فيه وجهالة ومن
جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر
وتاب واعترف ولجأ إلى الله تعالى عز وجل فيترك لأن قوله لا
ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه
يوجب الكف عنه ونزلت أيضًا مسألة استفتى فيها بعض قضاة
الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور في رجل تنقصه آخر
بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة
سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء
الأندلس أفتى بقتله ه

فصل

الوجه السادس أن
يقول القائل ذلك حاكيًا عن غيره وآثرًا له عن سواه فهذا
ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك
على أربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن
كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام
بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد
فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد
له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه
ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان

والتحريم

القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث
أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما
قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره
وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقيامًا
بحق سيد المرسلين ه وكذلك إن كان ممن يعظ العامة
أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء
ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي عليه
السلام ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام
بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين
ونصرته عن الأذى حيًّا وميتًا مستحق على كل مؤمن لكنه
إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الأمر
سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه
وعضد التحذير منه ه وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل أبو محمد ابن أبي زيد عن
الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي
شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن
علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب
فليشهد ويلزمه ذلك ه وأما الإباحة لحكاية قوله لغير
هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلًا في الباب فليس التفكه
بعرض النبي عليه السلام والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرًا

ولا أثر الغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض المتقدمة فمتردد
بين الإيجاب والاستحباب ۞ وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين
عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من
كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة
على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على
حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم ۞ وإن كان ورد لأحمد بن حنبل
إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد المحاسبي فقد صنع أحمد
مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء
بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس
ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء
والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه
أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي
له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته
أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة
إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان
لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد حكي
أن رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك

بلغ مقابلة على حسب الطاقة بأصله

كافر

كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه
منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه
لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره
أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله
والاستخفاف له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه وسبه
عليه السلام فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته
إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية أمه ۞ وقد قال أبو
عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى
الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع
المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه
وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان
هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة
على نحو الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه
بذنبه ۞ وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما
اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن
اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد
بروايته أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر
صلى الله عليه وسلم ۞

فصل

الوجه السابع أن يذكر ما
يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من
الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر

في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة
ابتداء حاله وتنشئته وما لقي من بؤس زمنه ومر عليه من
معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم
ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء وما يجوز عليهم فهذا
فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس فيه غمص ولا نقص
ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن
يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم
مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه أو تخشى
به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن
فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم
في ابتداء حاله وقال ما من نبي إلا وقد رعى الغنم وأخبرنا الله تعالى
بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن
ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى
لهم إلى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة أممهم من خليقته بما
سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر
الله تعالى يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له
فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب
من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة
على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد

العرب

عيشته صح

العرب ومن ناواه من أشرافهم شيئا فشيئا ونمى أمره حتى
قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من
الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين
وألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن
ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال
ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين
سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان
في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه وإذ اليتم من صفته
وأحد علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفة وكذا
وقع ذكره في كتاب أرمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد
المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذلك إذا وصف بأنه أمي كما وصفه
الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته
إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه
في القسم الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب
ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة
البشر وليس في ذلك نقيصة إذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة
وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة في نفسها
فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية
في غيره نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من
باين أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته

قف

فيما فيه هلاك من عداه بهذا شق قلبه واخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وتقوية
سواه منتهى هلاكه وختم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر
ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس
والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة
بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها
وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من
فضايله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيا منها مورده
وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير
وجهه وعلم منه بذلك سوء مقصده لحق بالفصول التي قدمناها
وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام
في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال
وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يحدث منها الا بالصحيح
ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث
بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى
وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن
عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس
وافقوه رحمه الله على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها
فاكثرها ليس تحته عمل ۵ وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم
على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى
الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه

ونصوا فانهم

ونصوا فانهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم
تكن في حقهم مشكلة ۵ ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته
الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها
ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها
فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من
آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه عليهم
السلام ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف
بانها ضعيفة المعاني واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على
ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة
موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون
الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه
على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها
واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس ۵

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على
طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال
لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا
ذكر ما قاساه من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض

تفرقوا شذر مذر بالفتح والكسر فيهما تفرقوا شذر مذر ومعناه اذا افترقوا وذهبوا في كل وجه ٥

ع ومتقولة

والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه
والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري
أعماله وأقواله عليه السلام يتحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة
ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وتحرز من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل
والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه
الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من
العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل
يجوز أن لا يعلم إلا ما علم وهل يمكن أن لا يكون عنده علم من بعض
الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا
تكلم في الأفعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر
والنواهي ومواقعة الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن
يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق
توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير وإعظام صلى الله عليه وسلم
وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم أستصوب
عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل ترك تحفظه
في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله وإذا كان
مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم
وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام أوجب والتزامه آكد
فجودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر
أو يهونه ولهذا قال عليه السلام إن من البيان لسحرا فأما ما أورده
على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها

فيه

فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور
في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره
عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا ه وقد كان السلف تظهر
عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان
بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها
مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها
صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر به ه

الباب الثاني

في حكم سابه صلى الله عليه وسلم وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر
استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه
السلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير
الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء
قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته
ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق
ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة
عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه
حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو
الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر
التوبة قتل بالسب لأنه هو حده وقال أبو محمد ابن أبي زيد
في مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه ه وقال

ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب
عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل ۝ وكذلك قد اختلف
في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك
قولين قال من شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على
ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك
ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأننا
وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي الفقيه أبو
الفضل وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى
لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله
عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين
والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك رضي الله عنه والليث
وأحمد وإسحق لا تقبل توبته وعند الشافعي رضي الله عنه تقبل واختلف
فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف ۝ وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه يستتاب ۝ وقال محمد بن سحنون ولم يزل
القتل عن المسلم بالتوبة من سبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه
لم ينتقل من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو
فيه لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر وقال
القاضي أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه
وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي
صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه
الله عز وجل بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا

وليس

وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه صلى الله عليه وسلم
كالارتداد المقبول فيه التوبة لأن الارتداد معنى ينفرد به المرتد
لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى
الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده
أو يقذف فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وأيضا فإن
توبة المرتد إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى وسرقة وغيرهما
ولم يقتل ساب النبي عليه السلام لكفره لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم
حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة
تقتضي الكفر ولكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته
وإظهار إنابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله أعلم بسريرته وبقي
حكم السب عليه ۝ وقال أبو عمران القابسي من سب النبي صلى
الله عليه وسلم ثم ارتد عن الإسلام قتل ولم يستتب لأن السب من
حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد ۝ وكلام شيوخنا
هنا ولا مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج إلى تفصيل
۝ وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على
ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم فقد صرحوا أنه ردة قالوا
ويستتاب منها فإن تاب نكل وإن أبى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا
في هذا الوجه والوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه ۝ ونحن نبسط
الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا
وإنما نقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره ما شهد به عليه وإظهاره

من الأصل غلطه من غير الدراية

الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدًّا لثبات كلمة الكفر عليه في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه وأجرينا حكمه
في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب. فإن
قيل فكيف تثبتون عليه الكفر وتشهدون عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون
عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها. قلنا نحن وإن أثبتنا له
حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة
وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلًا ومعصية
وأنه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر
على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة.
وأما من علم أنه سبه معتقدًا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك
إن كان سبه في نفسه كفرًا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا ما لا
إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة
حدًّا لقوله ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله تعالى المطلع على صحة
إقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به
عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى
وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرًا بلا خلاف. فعلى هذه
التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك
مقاصدهم إن شاء الله تعالى.

فصل

إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف مبنيًّا على الاختلاف في توبة المرتد
إذ لا فرق. وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها

ونعم

عباراتهم

فذهب

فذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب. وحكى ابن القصار
أنه إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم
ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه
قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه
والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحق وأصحاب
الرأي. وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في إحدى
الروايتين عنه أنه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره
عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن
أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله
ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه. وحكي
أيضا عن عطاء إن كان ممن ولد في الإسلام لم يستتب ويستتاب
الإسلامي وجمهور العلماء على أن المرتدة والمرتد في ذلك سواء
وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة
وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال أبو حنيفة
قال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى في ذلك سواء. وأما
مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر أنه يستتاب ثلاثة أيام
يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي الشافعي
وقول أحمد وإسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار
إلا بخير وليس عليه جماعة الناس. قال الشيخ أبو محمد بن أبي
زيد يريد في الاستيناء ثلاثا. وقال مالك أيضا الذي آخذ به
في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب

والاقتنال وقال أبو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثًا روايتان
عن مالك هل ذلك واجب أو مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء
والاستيناء به ثلاثًا أصحاب الرأي وروي عن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي
مرة فقال إن لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري
يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى قتل وروي عن علي رضوان
الله عليه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب أبدًا وبه أخذ
الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة أنه
يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة مرة
وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات
فإن أبى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد أو يشدد عليه
أيام الاستتابة ليتوب أم لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعًا
ولا تعطيشًا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال أصبغ يخوف أيام
الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الإسلام وفي كتاب أبي الحسن الطابثي
يوعظ في تلك الأيام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال أصبغ وأي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس أو وحده إذا استوثق
منه سواء ويوقف ماله إذا خيف أن يتلفه على المسلمين ويطعم
منه ويسقى وكذلك يستتاب أبدًا كلما رجع وارتد وقد استتاب
النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسًا
قال ابن وهب عن مالك يستتاب أبدًا كلما رجع وهو قول
الشافعي وأحمد وقاله ابن القاسم وقال إسحاق يقتل في الرابعة

وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة
وإن تاب ضرب ضربًا وجيعًا ولم يخرج من السجن حتى يظهر
عليه خشوع التوبة وقال ابن المنذر ولا نعلم أحدًا أوجب
على المرتد في المرة الأولى أدبًا إذا رجع وهو على مذهب
مالك والشافعي والكوفي

فصل هذا حكم من
ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقراره أو عدول لم يدفع
فيهم فأما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد أو
اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحًا
وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه
القتل ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله
وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن
قوي أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن
والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته
مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو
حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى
أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره وحالات
الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى
الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل
ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا
تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله

الحاكم

ابن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان
عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى
تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره
القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن
ولكن يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل
عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد
في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال
في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح وفي
الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما أو
جرحتهما ما أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف
لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق
به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما
بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع
الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الإرشاد

فصل هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو
عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف
عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة والعهد على هذا
وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من
أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن
يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى

وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية
ويستدل أيضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف
وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا
يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل حرب يقتلون
لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع
في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا عندهم
فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به وردت لأصحابنا
ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى أبو المصعب
الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل
يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه
لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر ونقضا
للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله قال
الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه
الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ قد بدت
سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم يسقطها
شيء وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق
للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحا

بنا

إستئمنا

النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف
وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فأن لا نقبل توبة الكافر أولى قال
مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من أهل
الذمة أو أحدا من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله
ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون
وأصبغ لا يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر
قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك إلا أن يسلم الكافر
وقد روى ابن وهب عن ابن عمر أن راهبا تناول النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه ۵ وروى عيسى
عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا إنما
أرسل إليكم وإنما نبينا موسى أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم
لأن الله تعالى أقرهم على مثله وأما إن سبه فقال ليس بنبي
أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله
أو نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم وإذا قال النصراني ديننا
خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو
سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله ففي هذا الأدب الموجع والسجن الطويل قال وأما

إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم
قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله
عندي إن أسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن
سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة
الموجعة مع السجن الطويل ۵ وفي النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم قال محمد بن سحنون فإن قيل لم
قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه
قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا
فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك
إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا
أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في
قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه
وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه
الذمة ۵ قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف
عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي
عن المدنيين في ذلك فحكى أبو المصعب الزهري قال أتيت
بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه
فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر برجله
وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب ۵ وسئل أبو المصعب عن نصراني

قال عيسى خلق محمد اتفق أن يقتل ٥ وقال ابن القاسم سألنا مالكا
عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة
ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح
الناس منه قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت
أن لا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في
المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته
وإن شاء أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه ولقد كتب إلى مالك
من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت
بأن يقتل وأن تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب
ثم يحرق بالنار فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه به فكتبته
بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك
فقتل وحرق وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة
سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية
ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول إسلامها
ودرء القتل عنها وبه قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي
وابن الكاتب وقال أبو القاسم ابن الجلاب في كتابه من سب الله
الله تعالى ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب ٥ وحكى
القاضي أبو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه
بإسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق
العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه

حدود الله تعالى وأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي
أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في
حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد
ثمانين فتأمله ٥ **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي
صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من
قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون إلى أنه لجماعة
المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه
كفر الزنديق ٥ وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن
كان مستترا بذلك وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه
للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال أبو الحسن
القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما
أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه وليس
من الميراث في شيء وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة
لقتل إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام
ولو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك
كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا
يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار ٥ وقول
الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه
لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك

ج الزندقة

في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله، ومثله لابن القاسم
في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن
أعلن كفره مثله. قال ابن القاسم: وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته
من المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد إليه، ولا يجوز وصاياه
ولا عتقه. وقاله أصبغ، قتل على ذلك أو مات عليه. وقال أبو
محمد بن أبي زيد: وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل
بالتوبة فلا تقبل منه، فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث.
وقال أبو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه
بينة أو لم تقبل: أنه يصلى عليه. وروى أصبغ عن ابن القاسم
في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو
أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين. وقال
بقول مالك أن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة
والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى، واختلف فيه عن أحمد.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن
المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم
والأوزاعي والليث وإسحق وأبو حنيفة: يرثه ورثته من
المسلمين. وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده، وما كسبه في
الارتداد فللمسلمين. وتفصيل أبي الحسن القابسي في جوابه
حسن بين، وهو على رأي أصبغ، وخلاف قول سحنون.
واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق، فمرة ورثه
ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها أو

بلغ نقلا على أصل صاحب الطائفة
صحح ... السلطان

اعترف

اعترف بذلك وأظهر التوبة. وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو
توبته، وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وروى ابن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع
لدمه. وقال به أيضا جماعة من أصحابه، وقاله أشهب
والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون. وذهب ابن القاسم
في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا
يورث، وإن لم يعترف حتى قتل أو مات ورث. قال: وكذلك
كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام. وسئل
أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله
عليه وسلم فيقتل، هل يرثه أهل دينه أم المسلمون؟ فأجاب: أنه
للمسلمين ليس على جهة الميراث، لأنه لا توارث بين أهل
ملتين، ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد. هذا معنى قوله
واختصاره.

بلغ

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه
وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه.
لا خلاف أن ساب الله عز وجل من المسلمين كافر
حلال الدم. واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في
المبسوط وفي كتاب محمد بن سحنون ومحمد، ورواه ابن
القاسم عن مالك في كتاب إسحق بن يحيى: من سب الله تعا

لى

من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله
بان تدانه اى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم
يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك
مثله ۞ وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي
حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهود
والنصارى فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من
الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن
نصر عن المذهب وافتى ابو محمد ابن ابي زيد فيما حكي عنه في
رجل لعن رجلا ولعن الله عز وجل فقال انما اردت ان العن
الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره
واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة
في مسالة هارون ابن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان
ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات
منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي
هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم
ابن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله وتظلم
منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن
حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي
بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس
والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي ۞ فوجه
من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة

لم يتعلق

لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله
واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار
الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو
معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم
تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر واظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا قد اعلم انه قد خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف
الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور
مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه
قبل وذكرنا الخلاف في فصوله ۞ **فصل** واما من
اضاف الى الله عز وجل ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا
الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطاء
المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة
كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده
واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم
اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا
في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم
وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر
اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ
۞ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك ابن الماجشون
وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك

في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من
قولهم في القدرية يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وقال عيسى
عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية والقدرية
وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف
لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه
فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله أيضا ابن
القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم
أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله في المبسوط في الإباضية
والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا
لرأيهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم
من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فإن تاب
وإلا قتل وابن حبيب وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير
أمثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي أيضا
عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام أنه كافر. واختلفت
الروايات عن مالك فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر ومروان
بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري
فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
ولو أعجبكم. وروي عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار وقال من
وصف شيئا من ذات الله تعالى وأشار إلى شيء من جسده يد
أو سمع أو بصر قطع ذلك منه لأنه شبه الله تعالى بنفسه. وقال
فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال أيضا في رواية ابن

نافع

نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر
بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي
أبو عبد الله البرنكاني والقاضي أبو عبد الله التستري من
أئمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية
وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خلفهم
وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري
وأكثر أقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث
وابن عيينة وابن لهيعة روي ذلك عنهم فيمن قال
بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع
وحفص بن غياث وأبو إسحاق الفزاري وهشيم
وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول أكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة
وأصحاب البدع المتأولين وهو قول أحمد بن حنبل وكذلك
قال في الواقفية والشاكة في هذه الأصول وممن روي عنه
معنى القول الآخر بتكفيرهم علي بن أبي طالب وابن عمر والحسن
البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا
بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام
الإسلام عليهم قال إسماعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية
وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد
في الأرض كما قال في المحارب إن رأى الإمام قتله وإن لم يقتل

البرنكاني

الواقفية

د

قتله وفساد المحارب إنما هو في الأموال وفي مصالح الدنيا وإن كان
قد يدخل أيضاً في أمور الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد أهل
البدع معظمه على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون
بين المسلمين من العداوة

فصل في تحقيق القول في إكفار المتأولين

قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار
أصحاب البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولاً يؤديه
مساقه إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله
إليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك
فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف
ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو
قول أكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال
ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم ولهذا قال سحنون
لا إعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع أصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه
لم يخرجه من الإسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا
عن القول بالتكفير أو ضده واختلاف قولي مالك في ذلك
وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه وإلى نحو من هذا
ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها
من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا
قولاً يؤدي إليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب
قول إمامه مالك بن أنس حتى قال في بعض كلامه إنهم على رأي

من كفرهم

من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم والصلاة على
ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال
أيضاً نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من
المسلمين وأكثر ميله إلى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب
فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري وأكثر قوله ترك التكفير
وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى
وقال مرة من اعتقد أن الله تعالى جسم أو المسيح أو بعض
من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا
ذهب أبو المعالي رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان
سأله عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب لأن إدخال
كافر في الملة أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما
من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل
فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك
ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد
وقد قال عليه السلام فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم
وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع
الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع
ولا قياس عليه وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معترضة للتأويل
فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام
وتسمية الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج
وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد

يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد في مثل هذه الألفاظ في الحديث
في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر وإشراك
دون إشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين
والزوج وغير معصية وإذا كان محتملاً للأمرين فلا يقطع على
أحدهما إلا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية
وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء طوبى
لمن قتلهم أو قتلوه وقال فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد
وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من
يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم
بخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث
نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم ها هنا حد لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من
حكم بقتله حكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث
دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي
فإن احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن لا
يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم
وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية
ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله
سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء
أجابه الآخرون أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون
معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم

وعارضوهم

وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك
في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه
الأمة ولم يقل من هذه الأمة وتحرير أبي سعيد الرواية
وإتقانه اللفظ أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصر
بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض
وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي
وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون
من أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخرا
من الأمة بفي ولا على إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد
أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على
سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفا
وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة
لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة
مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر
بالله تعالى الجهل به ولا يكفر أحد بغير ذلك وقال أبو
الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله تعالى بخلقه
وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من أثبت
شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين إن
كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف
الله عز وجل فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق

تجا
ن
جهم
ظ
ف

إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر
وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال
المجتهدين في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق
في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول
الدين في الواحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف
في تكفيره وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله
عن داود الأصبهاني قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك
في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من
أهل ملتنا أو من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى
واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن
معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في
كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر
أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين
أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف
والإجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص
والتوقيف أو شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من
كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر
وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا
الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل
فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية

أو

بلغ

أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله تعالى أو مع الله فهي كفر
كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من
الديصانية والمانوية وأشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة
أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد
غير الله عز وجل من مشركي العرب وأهل الهند
والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى
كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ
من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف
بالإلهية لله تعالى ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير
حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له
ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد من شيء أو كائن
عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا
للعالم سواه أو مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع
المسلمين كقول الإلاهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى
والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه
أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية
أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص

وتعذيبها أو تنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها، وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا خصوصا، أو أحد من الأنبياء الذين نص الله تعالى عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب، كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى، والغرابية من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل، وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم، وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به، ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين، وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة، فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل، والارتياب فيما أتوا به، وكذلك من أضاف إلى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه، أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء،

أو أزرى عليهم

٢٦٧

أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو كافر بإجماع، وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير، إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله، وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان أسود، أو مات قبل أن يلتحي، أو ليس الذي كان بمكة والحجاز، أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به، وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه السلام أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرامية القائلين بتواتر الرسل، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده، وكذلك كل إمام عندهم يقوم مقامه في النبوة والحجة، وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء، أو من ادعى النبوة لنفسه، أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة، وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء، ويدخل الجنة، ويأكل من ثمارها،

ذاك

وكالخرمية
كالخرمية

ويعانقون الحور العين فيها. ولأنّ كلّهم كفّار مكذّبون للنبي
صلى الله عليه وسلم لأنّه أخبر عليه السلام أنّه خاتم النبيين
ولا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنّه خاتم النبيين وأنّه
أرسل كافّة للناس وأجمعت الأمّة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وأنّ مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص
فلا شكّ في كفر هؤلاء الطوائف كلّها قطعاً إجماعاً وسمعاً
وكذلك وقع الإجماع على تكفير كلّ من دافع نصّ الكتاب
أو خصّ حديثاً مجمعاً على نقله مقطوعاً به مجمعاً على حمله
على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم. ولهذا نكفّر
من دان بغير ملّة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شكّ
أو صحّح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد
إبطال كلّ مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف
ذلك. وكذلك نقطع بتكفير كلّ قائل قال قولاً يتوصّل
به إلى تضليل الأمّة وتكفير جميع الصحابة كقول الكاملية
من الرافضة بتكفير جميع الأمّة بعد النبي صلى الله عليه وسلم
إذ لم تقدّم عليّاً وكفّرت عليّاً إذ لم يتقدّم ويطلب حقّه
في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنّهم أبطلوا الشرع
بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على
زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه
بقتل من كفّر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبّهم
النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم أنّه عهد

إلى علي وهو يعلم أنّه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم
وصلى الله على رسوله وآله. وكذلك نكفّر بفعل
أجمع المسلمون أنّه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرّحاً
بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس
والقمر والصليب والنار والسعي إلى الكنائس والبيع
مع أهلها بزيّهم من شدّ الزنانير وفحص الرؤوس فقد
أجمع المسلمون أنّ هذا لا يوجد إلا من كافر وأنّ هذه الأفعال
علامة على الكفر وإن صرّح فاعلها بالإسلام. وكذلك
أجمع المسلمون على تكفير كلّ من استحلّ القتل أو شرب الخمر
والزنا ممّا حرّم الله تعالى بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة
من القرامطة وبعض غلاة المتصوّفة وكذلك نقطع بتكفير
كلّ من كذّب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف
يقيناً بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم
ووقع الإجماع المتّصل عليه كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات
وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول إنّما أوجب الله علينا
في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمساً وعلى هذه الصفات
والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن نصّ جليّ والخبر
به عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك أجمع على
تكفير من قال من الخوارج إنّ الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير
الباطنية في قولهم إنّ الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث
والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوّفة

إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم
إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم
وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام
أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك
ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي
مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها
ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه
التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره إن
كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت
صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك
أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا
تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصري الرسول
صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك
البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي
صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا إليها
وطافوا بها وأن تلك الأفعال هي صفات عبادة الحج والمراد به
وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن صفات
الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح
مراد الله بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا
ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث
وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا

ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه
لا يدري ذلك وأيضا فإنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط
فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول صلى الله عليه
وسلم وفعله وتفسير مراد الله عز وجل به أدخل الاسترابة
في جميع الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين
كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا
منه أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية
أو من زعم أنه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه
حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضيمري أنه لا
يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا
عقاب ولا حكم ولا محالفة في كفرهما بهذا القول وكذلك
تكفيرهما بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له أو في خلق السماوات والأرض دليل على
الله لمخالفتهم الإجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من أنكر
شيئا مما نص القرآن فيه بعد علمه أنه من القرآن الذي
في أيدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا
قريب عهد بالإسلام واحتج لإنكاره إما بأنه لم يصح النقل
عنده ولا بلغه العلم به أو لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره
بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه
وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من أنكر الجنة أو النار

أو البعث والحساب والقيامة فهو كافر بالإجماع للنص عليه
وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك
ولكنه قال إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر
والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وأنها لذات روحانية
ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض
وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض
الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم
إن الأئمة أفضل من الأنبياء فأما من أنكر ما عرف بالتواتر
من الأخبار والسير والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال الشريعة
ولا تفضي إلى إنكار قاعدة من الدين كإنكار غزوة تبوك أو مؤتة
أو وجود أبي بكر وعمر أو قتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل
ضرورة وليس في إنكاره جحد شريعة فلا سبيل إلى تكفيره بجحد
ذلك وإنكار وقوع العلم له إذ ليس في ذلك أكثر من المباهتة
كإنكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه
فأما إن ضعف ذلك من أجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين
أجمع فنكفره بذلك لسريانه إلى إبطال الشريعة فأما من أنكر
الإجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير
كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع لشروط الإجماع المتفق
عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد

ما تبين له الهدى الآية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وحكوا الإجماع على
تكفير من خالف الإجماع وذهب آخرون إلى الوقوف عن
القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب
الوقوف ح
آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن
عن نظر كتكفير النظام بإنكاره الإجماع لأنه بقوله هذا
مخالف إجماع السلف على احتجاجهم به خارق للإجماع قال
القاضي أبو بكر القول عندي أن الكفر بالله تعالى هو الجهل
بوجوده والإيمان بالله هو العلم بوجوده وأنه لا يكفر أحد
بقول ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصى بقول
أو فعل نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من
لا لأجل ح
كافر أو يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لأجل قوله أو فعله
لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور
أحدها الجهل بالله تعالى والثاني أن يأتي فعلا أو يقول قولا
يخبر الله ورسوله أو يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون إلا من كافر
الزنانير ح
كالسجود للصنم والمشي إلى الكنائس بالتزام الزنار مع أصحابها
في أعيادهم أو يكون ذلك القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله
قال فهذان الضربان وإن لم يكونا جهلا بالله فهما علم أن
فاعلهما كافر منسلخ من الإيمان فأما من نفى صفة من صفات
الله تعالى الذاتية أو جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم
ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال

الواحد له تعالى فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى
عنه الوصف بها وأعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما
قدمناه ۝ فأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف
العلماء ها هنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن أبي جعفر
الطبري وغيره وبه قال أبو الحسن الأشعري مرة وذهبت
طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن اسم الإيمان وإليه رجع الأشعري
قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا
وشرعا وإنما نكفر من اعتقد أن مقاله حق واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها
التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية
فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث أكثر
الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها إلا
الأقل ۝ وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن
قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه
بل في نفس البعث الذي لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن ورد
عندهم به شرع يقطع فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فأما
ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول أو يكون قدر بمعنى
ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها ۝
وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه
مما استولى عليه من الجزع والخشية التي أذهلت لبه فلم

بلغ مقابلة على أصله صاحب
الطائفة بفضله إن شاء الله تعالى

يؤاخذه

لا من

يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة حيث ينفع
مجرد التوحيد ۝ وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي
صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله
أمثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا
أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ۝ فأما من أثبت الوصف
ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن
لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال
بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه
إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم
فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا
سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ۝ ومن
لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير
إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس
بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقده
نحن وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه
فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل
فإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب
ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء
حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحتهم ودياتهم
والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر

حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول
فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة رضوان الله عليهم
وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي
الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا
لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي
والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة
أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل
بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب
قال القاضي أبو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية
والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد
وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها
أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا
أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد
قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا
ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى

فصل

هذا حكم المسلم الساب لله عز وجل وأما الذمي فروي
عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله
غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه
بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن
سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير

الوجه

الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعا قال أصبغ لأن الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى
الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية
والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم
في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله تعالى
بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم
لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا
قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال أبو
محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به
كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل
وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين
في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به
لله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك
وهو نحو القول الآخر فيمن سب الله تعالى وسب نبيه
صلى الله عليه وسلم لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا
شيئا من كفرهم ولا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا
منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق
فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه
خرج من كفر إلى كفر وقال ابن الماجشون يقتل لأنه دين

لا يعرج عليه أحد ولا يؤخذ عليه جزية قاله ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته فأما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي أن يكون الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي ابن أبي طالب رضي الله عنه من ادعى له

الإلهية

الإلهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي بالله وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل ۝ وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله عز وجل خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره ۝ وقال أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل ۝ وقال أبو محمد ابن أبي زيد فيمن لعن بارئه وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من أنه لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله أنا الله إن تاب أدب فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق

لأن هذا كفر المتلاعب.

فصل

وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه فهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه. وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ ابن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى ابن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب

وصاحبه

وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم. وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم تكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك فقال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله. وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا عنه ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول. وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب:

رب العباد ما لنا وما لكا ... قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبا لكا

في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره

ننا

الثقاف ما تقوم به الرمح المعوج

والإغلاظ له عن العودة إلى مثله. قال أبو سليمان الخطابي
وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الأمور.
وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم
ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله
الكلب وفعل به كذا وكذا. وكان بعض من أدركنا من مشايخنا
قل ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول
للإنسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا إعظاما
لاسمه عز وجل أن يمتهن في غير قربة. وحدثنا الثقة
أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة
خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالا لاسمه ويقول
هؤلاء يتمندلون بالله. وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله
في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها
والموفق الله.

فصل

وحكم من سب سائر أنبياء الله
تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم
وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه. قال الله
تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا
بين الله ورسله الآية. وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما
أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين
أحد منهم. وقال كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين أحد من رسله. قال مالك في كتاب ابن حبيب
ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ

وسحنون

وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه قتل ولم
يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم. وروى
سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه إلا
أن يسلم. وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل. وقال القاضي
بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته من سب الله
تعالى وملائكته قتل. وقال سحنون من شتم ملكا من
الملائكة فعليه القتل. وفي النوادر عن مالك فيمن قال
إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب
استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول
الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي
أشبه بعلي من الغراب بالغراب. وقال أبو حنيفة
وأصحابه على أصلهم من كذب بأحد من الأنبياء أو تنقص
أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد. وقال أبو الحسن
القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان
لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل. قال القاضي أبو الفضل
وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين
أو على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين
ممن نص الله تعالى عليه في كتابه أو حققنا علمه بالخبر
المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل
وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية

وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن
سُمّي فيه من الأنبياء كعزرائيل ورضوان والحفظة
ومنكر ونكير من المتفق على قبول الخبر بهما فأما من لم
تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع على كونه من
الملائكة والأنبياء كهاروت وماروت في الملائكة
والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور أنه نبي أهل الرس
وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون
نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن
قدمناه إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من
تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم
لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وإن لم
تثبت نبوته وأما إنكار نبوتهم أو كون الآخر من
الملائكة فإن كان المتكلم في ذلك من أهل العلم فلا حرج
لاختلاف العلماء في ذلك وإن كان من عوام الناس
زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس
لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل
هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة

فصل

واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف
أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب به
أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب به

كذا وقع في الأصل المنقول منه هذا التكرار فليجرد

أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر
أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شك
في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع قال الله تعالى
وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه أبو الوليد
هشام بن أحمد رحمه الله قال ثنا أبو علي ثنا ابن عبد البر ثنا
ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا أبو داود ثنا أحمد بن حنبل
ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في
القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من
كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك إن جحد
التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو لعنها
أو سبها أو استخف بها فهو كافر وقد أجمع المسلمون أن
القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف
بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب
العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق
وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر
مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع
الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه

لبيد

كافر. ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها
بالفرية لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل أي
لأنه كذب بما فيه. وقال ابن القاسم من قال إن الله
تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل. وقاله عبد الرحمن بن
مهدي. وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا
من كتاب الله يضرب عنقه إلا أن يتوب وكذلك كل من كذب بحرف
منه قال وكذلك إن شهد شاهد على من قال إن الله تعالى
لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه أنه قال ما اتخذ الله إبراهيم
خليلا لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو
عثمان ابن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون أن الجحد بحرف
من التنزيل كفر. وكان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له
ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك إبراهيم فقال
أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد
الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال
أصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن
كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله. وقد سئل
القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر
لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه
سأله عن القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال أبو الحسن
الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الأمر بصفة تحتمل
التأويل إذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله تعالى

لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا
لضاق التأويل. وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن
شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد
لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه
بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة سنة
ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك
أبو بكر الأبهري وغيره وأفتى أبو محمد ابن أبي زيد
بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك
وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال أبو محمد
وأما من لعن المصحف فإنه يقتل.

فصل

وسب آل بيته عليه السلام وأزواجه وأصحابه وتنقصهم
حرام ملعون فاعله. حدثنا القاضي الشهيد أبو علي
رحمه الله قال ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل
قالا ثنا أبو يعلى ثنا أبو علي السنجي قال ثنا ابن محبوب ثنا
الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا
عبيدة ابن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن
عبد الله ابن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني

فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي فإنه يجي قوم في آخر الزمان يسبون
أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وإن مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب أصحابي
فاضربوه وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم
يؤذيه وأذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني
في أصحابي فمن آذاهم فقد آذاني وقال عليه الصلاة والسلام
لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما
آذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب وقال
أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر
أو عمر أو عثمان أو معوية أو عمرو بن العاص فإن قال
كانوا على ضلال وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة
الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من
الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبا شديدا
ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر
ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب
النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربا
وحكى أبو محمد ابن أبي زيد عن سحنون من قال في أبي بكر وعمر
وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غير
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن
مالك من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم
قال لأن من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان
عنه لأن الله تعالى يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا
إن كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى أبو الحسن
الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى إذا
ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله
تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في أي كثيرة وذكر
تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة رضوان الله عليها فقال
ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك
سبح نفسه في تبريتها من السو كما سبح نفسه في تبريته من السو
وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى
هذا والله أعلم أن الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان
سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه
تعالى وكان حكم مؤذيه سبحانه وتعالى القتل كان مؤذي نبيه
كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة بالكوفة فقدم إلى موسى ابن
عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى أنا فجلد ثما
سوطا وحلق رأسه وأسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن

هم

له

ابن

الخطاب أنه قطع نذر لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد
بن الأسود فكلم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا
يشتم أحد بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى
أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بأعرابي
يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه قال مالك
من انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في
هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة أصناف فقال
للفقراء المهاجرين الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والإيمان
من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار ثم قال والذين جاءوا من
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي
كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن زانية
وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا
لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره
ولقوله عليه السلام من سب أصحابي فاجلدوه قال ومن قذف
أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له فإن
كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلا فمن
قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه قال وليس
هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه
وسلم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام به قال
ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

ورضي عنهن ففيها قولان أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى الله
عليه وسلم بسب حليلته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد
المفتري قال وبالأول أقول وروى أبو مصعب عن مالك من
انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا
ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق
الرسول صلى الله عليه وسلم وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة
في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر
الصديق ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب
عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي
صوب قوله هو أخص باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه
في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة
فيه ويبغض في الله تعالى وقال أبو عمران في رجل قال لو
شهد علي أبو بكر الصديق أنه إن كان في مثل ما لا يجوز فيه
الشاهد الواحد فلا شيء عليه وإن كان أراد غير هذا فيضرب
ضربا يبلغ به حد الموت وذكرها رواية قال الفقيه
القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه هنا انتهى القول
بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى
الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن في كل قسم منه للمريد
مقنع وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع وقد سفرت
فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب

مِنَ التَّحقيقِ لَمْ يُورَدْ لَهَا قَبْلُ فِي أَكْثَرِ التَّصَانِيفِ مَشْرَعٌ
وَأَوْدَعْتُهُ غَيْرَ مَا فَصْلٍ وَدِدْتُ لَوْ وَجَدْتُ مَنْ بَسَطَ
قَبْلِي الْكَلَامَ فِيهِ أَوْ مُقْتَدًا يُفِيدُنِيهِ عَنْ كِتَابِهِ أَوْ فِيهِ
لِأَكْتَفِيَ بِمَا أَرْوِيهِ عَمَّا أُرَوِّيهِ وَإِلَى اللهِ تَعَالَى جَزِيلُ الضَّرَاعَةِ
فِي الْمِنَّةِ بِقَبُولِ مَا مِنْهُ لِوَجْهِهِ وَالْعَفْوِ عَمَّا تَخَلَّلَهُ مِنْ تَزَيُّنٍ
وَتَصَنُّعٍ لِغَيْرِهِ وَأَنْ يَهَبَ لَنَا ذَلِكَ بِجَمِيلِ كَرَمِهِ وَعَفْوِهِ
لِمَا أَوْدَعْنَاهُ مِنْ شَرَفِ مُصْطَفَاهُ وَأَمِينِ وَحْيِهِ وَأَسْهَرْنَا بِهِ
جُفُونَنَا لِتَتَبُّعِ فَضَائِلِهِ وَأَعْمَلْنَا فِيهِ خَوَاطِرَنَا مِنْ إِبْرَازِ خَصَائِصِهِ
وَوَسَائِلِهِ وَيَحْمِي أَعْرَاضَنَا عَنْ نَارِهِ الْمُوقَدَةِ لِحِمَايَتِنَا كَرِيمَ عِرْضِهِ
وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ لَا يُذَادُ إِذَا ذِيدَ الْمُبَدِّلُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَجْعَلَهُ
لَنَا وَلِمَنْ تَهَمَّمَ بِاكْتِتَابِهِ وَاكْتِسَابِهِ سَبَبًا يَصِلُنَا بِأَسْبَابِهِ
وَذَخِيرَةً نَجِدُهَا يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحْضَرًا نَحُوزُ بِهَا رِضَاهُ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ وَيَخُصُّنَا بِخَصِيصَى
زُمْرَةِ نَبِيِّنَا وَجَمَاعَتِهِ وَيَحْشُرُنَا فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ وَأَهْلِ
الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ وَنَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى مَا هَدَى
إِلَيْهِ مِنْ جَمْعِهِ وَأَلْهَمَ وَفَتَحَ الْبَصِيرَةَ لِدَرْكِ حَقَائِقِ مَا
أَوْدَعْنَاهُ وَفَهَّمَ وَنَسْتَعِيذُهُ جَلَّ اسْمُهُ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَعِلْمٍ
لَا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ فَهُوَ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ مَنْ أَمَّلَهُ وَلَا
يَنْتَصِرُ مَنْ خَذَلَهُ وَلَا يَرُدُّ دَعْوَةَ الْقَاصِدِينَ وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ
الْمُفْسِدِينَ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا
وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

كمل كتاب الشفا بتعريف حقوق
المصطفى للقاضي عياض رحمة الله
والحمد لله وحده وصلواته على
من لا نبي بعده محمد
وآله وصحبه
وسلم

تسليما ابدا دائما سرمدا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل
فرغ من نسخه ولله الحمد والمنة في يوم السبت المبارك بعد اذان
الظهر سادس عشر ذي القعدة الحرام سنة ثمان وستين وثمانمائة
احسن الله ختامها كتبه لنفسه ولمن شا الله من بعده فقير
عفو ربه الكبير السماح قاسم بن خليل الحلبي الشهير بابن الصلاح
الشافعي مذهبا الاشعري معتقدا الدمشقي مولدا غفر الله
له ولوالديه ولمن قرا فيه ونظر وطالع ولمن امن على دعايه

ولجميع المسلمين والمسلمات والمومنين
والمومنات الاحيا منهم والاموات
انك سميع قريب مجيب الدعوات
امين يا رب العالمين
وحسبنا الله تعالى
وكفى

[Margin, left page:] بلغ مقابلة وقراة على اصله فصحا ... الذي ... عنه ...

[Margin, right page:] مقتدا

[Margin, right page, bottom:] بلغ مقابلة وقراة ... على اصل المنقول منه ... الله تعالى في مجالس ... العشر ... سنة ... والنسخة التي نقلت منها ... القراءات ...